الدكتور الصيدلي عباس وهبي

الشاعر العاملي اللبناني العربي العالمي المفكّر الدكتور محمد علي شمي الدين

"قراءاتٌ في شاعريّتهِ الفنيّةِ المسرحيّةِ ، وفي أدبهِ وفلسفتهِ، و فكرهِ وانتمائهِ العقائدي "

هو السندبأد الذي قلب الآية عندما قال : في البداياتِ كانت النارُ علماً أنّ الآيةَ القرآنية الكريمة تقول :" و كان عرشُهُ على الماء" ، والأسطورةُ البابلية تقولُ :" في تلك الأزمان الأولى لم يكنْ سوى المياه " ! شاعرٌ ترك بصماتهِ ليس في الشعرِالعربيّ فحسبُ بل و العالميّ أيضاً ،و ما انفكّ الباحثون يغرفون من نتاجهِ الغنيّ فالدراساتُ والأبحاثُ و المقالاتُ النقديّةُ حوله جمّةٌ وخِصبةٌ و غنيّةٌ بمقدار ما ينهلون من معينِ إرثه مُبحرةً في موضوعاتٍ شتّى على غرار أسلوبه ولغته الشعريّة ، و مملكةِ شعريّته الزاهية ، و توظيفه للفلسفة والتراثِ الصوفيّ ، والرمزية ، و تصويره للمرأة والفنّ بكلّ إشراقاته المتوهّجة ...

... لقد وُلد في 10/15/ 1942 في بيت ياحون في الجنوب اللبناني و توفّيّ في 2022/09/11 ، و نال إجازةً في الحقوق و دكتوراه في التاريخ في الجامعة اللبنانية ، و هو عضو إتحاد الكتّاب اللبنانيين ، وعضو إتحاد الكتّاب العرب ، و عضو شرف في رابطة الكتّاب الأردنيين .

أعماله الشعريّة والأدبية – سيرتهُ ورؤيتهُ الشعريّة ،الأدبية ، والفلسفيّة – الفكريّة : له أعمال شعريّة صدرت بطبعات متعددة نذكر منها : " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا عام 1975 ، غيمٌ لأحلام الملك المخلوع 1977 ، أناديك يا ملكي وحبيبي 1979 ، الشوكة

البنفسجيّة 1981 ، طيورٌ إلى الشمس المرّة 1982 ، أما آن للرقص أن ينتهي 1989، أميرال الطيور 1992 ، منازل النرد 1999 ، ممالك عالية 2002، شيرازيات 2005، الغيمة التي في الضواحي 2006، اليأس من الوردة 2009، ينام على الشجر الأخضر الطير 2012، النازلون على الريح 2013 ، كرسي على الزبد 2018 ، وآخر ديوان كان : خدوش على التاج والذي أصدرته عائلته الكريمة بُعيد وفاته بقليل ، وذلك في معرض بيروت الدوْلي للكتاب في 2022/12/03 ، إضافةً إلى بعض المؤلّفات في النقد الشعري – الأدبي والفلسفي التي سيرد ذكرها في هذه العجالة على غرار / غرباء في مكانهم / وغيرها...و قد كتب شعراً للأطفال في مجموعته " غنوا غنوا " عام 1983، و كذلك القصة " كنز في الصحراء " التي صدرت في السنةِ نفسها ،ليواصلَ هذا الشكل الكتابي حيث تجاوزت قصصه المكتوبة للطفل اثنتي عشرة قصّة ، و لُحّنت القصائد التي كتبها للصغار أيضاً. نال جائزة العويس للشعر دورة 2011/2010 و تمّ اختياره الشخصيّة العربيّة المكرّمة لجائزة الشارقة للشعر العربي 2015 ، و قد صدرت ملفّات في شعره في كلّ من مجلّة العربي (الكويت)، أدب و نقد (القاهرة) ، الحداثة (بيروت) ،بيت الشعر و إتحاد الكتّاب الفلسفي (رام الله) ، . كُتبت في شعره أبحاثٌ متعددة و صدرت الكتب التالية : " البحث عن غرناطة بالأسبانية للمستشرق بيدرو مونتابت منشورات المنارة – مدريد 77/76. / لغة محمد علي شمس الدين الشعرية د. علي مهدي زيتون منشورات حركة الريف الثقافية 1996./ م.ع.ش. أميرال الطيور د. محمد حمود دار الفكر اللبناني 2008 / شعريّة الانزياح دراسة م. ع. ش. الشعرية أُميمة الرواشدة أمانة عمان الكبرى 2004 . / فواعل الاثارة الجمالية في شعره د. عصام عبد السلام شريح دار النعتز 2018 . / نفي الغياب في رحلة الاياب ،/ قراءة في قصيدة يوم الأحد الواقع فيه صمتي للشاعر م. ع. ش. تأليف عمر شبلي دار العودة 2015 / . قصائد أنبتتها الصخور في سيرته مصطفى الجوني / 2019 .و قد كُتِب في شعره أكثر من ثلاثين أطروحة ماجستير و تعبثُ في مرادها الأجسامُ/. والفارسيّة

والانجليزيّـة والأرمنيّـة والرومانيّـة . عـاش فـي بيـروت والجنـوب اللبنـاني ، ومـارس التعلـيم الجامعي و عمل مديراً للتفتيش في الضمان الصحّي الاجتماعي .

محمد علي شمس الدين شاعر الانسان والأرض والمقاومـة المسكون بـالتراث العربـي والأصـالة والفلسفة والتـاريخ ، إنّـه الشـاعر الأديب والمفكر لا بـل السندباد الـذي لـم يهبْ مـوجَ الـدنيا العالي بل راح يُبحرُ و بكلّ شجاعةٍ ، فكان الشاعر الصوفيّ الملهم والملمّ بالتـاريخ العربـي ، و شعرهِ ورموزهِ ، و المطوّع للأساطير والتـاريخ فـي صيرورةِ شعرهِ النوراني . لقد كـان ناقـداً صارماً حاملاً لسيف الحقّ فيقطعُ ما نفر و شذّ بشفرة قلمه ذو الحدين ، ويُبارك ما جاد و ما تألّق لذا نراه قد غزا بنقده العديد من المؤلفّات بالنقد والتحليل دون هوادة ، ودون رادع و كلّ ذلك مـن أجل تنميـة المعرفـة ، وصقل العقول ، وحمايـة الشعرمن الركاكة والابتذال . و بـابُ النقد والـردّ والمطالعـة والمراجعة ، هو من أكبـر أبـواب العلـم ، و مفـاتيح أقفال المعـارف ، ومناجم الحقائق التي تنجمُ عن احتكاك الآراء ، وتبادل الأفكار ، ومُصارعة الخيال والحقيقـة ، ومُقارعةُ العقل والوهم . هو الشاعر المقاوم و كيف لا و هو من شرب من ينابيع جبل عامل الفكريّـة الرقراقـة ، و أنهـار علمائـه الهـدّارة ، وهـو مـن ذاق أسـوةً بأهلـه و شـعبه مـن ويـل الهجمات الصهيونية فتحلّى بمواقف مشرّفة توّجت إخلاصـه للجنـوب والـوطن والأمّـة العربيـة ، ولتحرير الانسان في كلّ زمكان . لقد استلهم الابـداع الشـعريّ والأدبـيّ من إلهـام جبـل عاملـة جبـل القداسـة ، جبل الفكـر والبلاغـة والشـعر المتـرنّم بـأوزان الفراهيـديّ والأدب المتوقّـد مـن حرارة الايمـان والابـداع ، جبلُ المقاومـة التـي انطلقت منذ أن أطلق شرارتها الحـاج موسـى و أحمـد الشـقيفي فـي قلعـة الشـقيف ضدّ التحـالف الصـليبي الأيـوبي العجيـب الغريـب! مـروراً بالشهيدين الأوّل والثاني وصولاً إلى شيخ المقاومين ناصيف النصّار ... وصولاً إلى المقاومـة الوطنية والاسلامية ..وقد صدق فيه قولُ أبي الطيّب المتنبّـي حين قـال :/ وإذا كانـت النفـوسُ كبـاراً تعبـثُ فـي مرادهـا الأيّـامُ / .لقد تمتّـع بـذكاءٍ وقّـادٍ و ألمعيّـةٍ تفـوّق بهـا علـى كثيـرٍ مـن الشعراء في حينٍ صرنا في زمنٍ نقولُ فيـه :" الشعرُ منقصـةٌ للكامل و كمـالٌ للنـاقص ". و

يقول الشاعر المصري أحمد إمام :" بدأ شاعراً مقاوماً ملتزماً بقضايا وطنه ، و مات على النهج نفسه ، و لكن على طريقته . لم يتورّط في الكتابة المقاومة بمفهومها التحريضي الساذج ، ولم يقعْ في المباشرةِ المُنافية للطبيعة البشريّة ، وانحاز إلى الفنّ ذاته كفعلٍ مقاوم .استمرّ في السفر من الفلسفة إلى التاريخ ، ومن التصوّف ألى الرمزيّة ، واستمرّت أسئلة الشاعر التي أتبعها دائماً بفراغاتٍ ليست تُفضي ، كان يعرفُ جيّداً أنّ الشاعر عدوٌّ حقيقيٌّ للاجابات ...." وفي مقابلة له مع ألترا صوت يقول : " أعتقد أنّ ما حملني إلى عالم الكتب هي رغباتي المُبكرة في القراءة ، وهي رغبات تكاد تكون غريزية كحبّ المطر أو أو الريح أو البحر . من عمر الثانية عشرة كنت أدّخر من مال الجيب وأشتري الكتبَ و كانت حيازة الكتاب متعةٌ و هوايةٌ كالمشي أو السّفر أو اقتناء الطيور . هذه الغريزة راكمت عندي عدّة مكتبات تتبعُني في أماكن سكني المتنقلة . و كان في مكتب العمل عندي مكتبة و في السيّارة أيضاً . لكن بعد ذلك أحرقتُ نصفَها ، و كنتُ قد بِعتُ بعضها بسبب حاجتي للمال لأصرفهُ على حبيبتي في المطعم والسينما والسّفر معها . أمّا إحراقي لنصفِ كتبي فلأنني وجدتها مزعجة و مضرّة و غير جديرة بالبقاء . كنباتات ضارّة لا بدّ من حرقها . و من الكتب الأكثر تأثيراً في حياته لزوميات المعرّي والامتناع والمؤانسة للتوحيدي والمتنبّي وابن عربي والجاحظ ، هذا من القدماء . ريلطه و نيرودا و نيتشه و هايدغر و ألبير كامو ، و مائة عام من العزلة لماركيز و أولاد حارتنا وأصداء السّيرة الذاتية لمحفوظ و حجر الصّبر لعتيق رحيمي و هكذا. و يضيق المجال حسب قوله ففي صدره عوالمُ لا يستطيعُ حصرها. و من كتّابه المفضّلين كافكا والفنتازيا الغرائبية عند فاضل العزاوي. لقد كان أيّ كتابٍ يقرؤه يُوازيه كتابٌ آخر من ملاحظاته ونقده للكتاب مباشرةً على صفحاته . و الملاحظات تكون مباشرة و عارية بين القسوة والنشوة . و يقول : " قرأتُ في مجلّة "شعر" مقالةً إلى شدّة تأثري بها ، كتبتُ بجانب ذلك " اقتلهُ" أي لا تدع أحداً يُسيطر عليك . و ربّما كتبتُ ملاحظاتٍ قاسية على كتب الأصدقاء ." و هذا إن دلّ على شيءٍ إنّما يدلّ على أنّ د. شمس الدين يرفض الأغلال

مهما كانت ، ويرفض التزلّف حتّى لو كان شكلهُ ادعاءً بإعجابٍ فكريّ. و خُلاصة القول : عاش محمد علي شمس الدين طفولةً عرفت الشقاء و التمرّد إلى جانب الطموح والذكاء ، وتأثّرت بالبيئتين الدينية والريفيّة ، و لا سيّما أنّ والده كان قد أرسله لكي يتربّى في كنف حضن عمّته التي كانت عاقراً وذلك بسبب فقره المُدقع و كرد جميل لها ولزوجها الشيخ اللذين ربّياه في آنٍ معاً ، وفي البيت الجديد تأثّر شمس الدين بمربّيه الشيخ ، وهذه الطفولة المعذّبة التي عاشها شاعرنا كانت بمثابة المُحرّض الأوّل لتأجّج جذوة الشعر لديه فيما بعد .و في هذا الاطار :

يقول الكاتب مصطفى الجوني في مقابلة أجراها مع د. شمس الدين وردت في كتابه "قصائد أنبتتْها الصخور " ص. 43- 52:" بما أنّ شروط الربح الوفير لم تكن سهلة ، قرّر علي " والد د. شمس الدين" أن يُقلّل من مصاريفه غير الضرورية ، ولو كانت على حساب عاطفته تجاه من يُحبّ ، حيث إنّه لن يقومَ بزيارة الحاجة بدر والشيخ عبد الحسين إلّا مرّتين في السنة الواحدة فقط ." و ذلك بسبب سفره إلى فلسطين للعمل هناك بعد أن ضاقت به الأحوال : تابع علي محاوراً زوجته : "ما كنتُ أقومُ به من زيارات متتالية لهما ، لم تعدْ اليوم شرطاً ، لأنّني كنتُ أعزب قبلاً، وكان قليل من المال يكفيني ، أمّا اليوم فلديّ مسؤوليات لا يمكن الهروب منها و لديّ زوجة أميرة مثلك ، وولد يشبهك ، والقليل من المال لم يعد يكفينا .." لقد كان والد محمد علي يتيم الأب منذ قبل ولادته و قامت عمّته بدر بتربيته ، و لولا مال جدّه لما كان بائع ألبسة مستعملة ، فلهما حقّ عليه وهو الرفق بهما معتبراً أنّ تلك الأدبيات من أصول تربيته لذا يقول : "ولا تظنّي أنّ محمد علي هو قطعة منك فحسبُ بل هو قطعة منّي أيضاً و هما سيحافظان عليه إذا تركناه إلى جانبهما ، كما فعلا معي عندما كنتُ صغيراً ، فوجوده معهما يُسلّيهما ، خصوصاً و أنّهما عاقران .. نظرت آمنة والدة محمد علي إلى وجهه والخوف بعينيها ثمّ انفجرت باكيةً بأعلى صوتها ، متسائلةً : هل تُريد منّي أن أترك لهما فِلذةُ كبدي ، و أرحل معك إلى فلسطين ؟ "، و بعد اقتراحٍ من آمنة بأن يُسافر لوحده إلى

فلسطين غير أنّ الأب استعمل سُلطته الذكوريّة فارضاً ما يُريد ، ولكنّ سكوت الشيخ عبد الحسين وزوجته بدر عمّا كان يدورُ حولهما كان قبولاً به ، و عدم اكتراث لما كانت عليه آمنة ! و يقول جوني :" و ما أثارني هو سؤال لم أعرْه انتباهاً قبلاً ، هو أنّ ذاك الشيخ الجليل الي كان يحترم أحكامه كلّ من كان في قرية بيت ياحون و جوارها ، هل كان سيقبل حُكماً كهذا ، لو لم تكن بدر زوجته ؟ "و لكنّ آمنة تخلّت قصراً عن مولودها ومضت ... و من ثمّ رُزقت طفلاً و حملته معه إلى بيت ياحون ، حيث كانت بدر و عبد الحسين في استقبالهم ، و ابنها محمد علي في حضن العمّة ، لم يكنْ يأبه لوجود أمّه ، و لا بدرٌ سمحت لآمنة بأن تحمله ! لقد أصبحت بدر كالجنيّة التي تسرقُ أطفالها . " لم تملك آمنة الجرأة لتُخبر ابنها أنّها أمّه ولم تكن بدر تأبه لذلك البتّة ! و ما زاد الطين بِلّة أنّ محمداً لم يكن يشعر إلّا ببدرٍ أُمّاً له . لقد رُزقت آمنة بطفلين خلال وجودهما في فلسطين .. بعد النكسة بعشرة أعوام كان محمد علي قد بلغ العاشرة ، وعندما قرّر الوالد السفر إلى بيروت من أجل مدارس أولاده والعمل فيها ، و أصبح لزاماً عليه أن يُخبر ابنه البكر بأنّ آمنة هي والدته ، لكنّ وقْع الخبرِ عليه كان عادياً لأنه لم يزل مفعماً بدلال بدرٍ و عاطفتها ، و لم تكنْ تعنيه آمنة المنشغلة بأولادها الآخرين " . ورغم محاولات أمّه الخجولة لجذبه نحوها و رغم أنّه بدأ يفهم من هي أمّه الحقيقية ، وبدأ يُخبر والدته أنه يُحبّها و هي لا تُحبّه بقدر حبّه لها ، لكنها كانت تنكر ذلك بحجّة أنّ إخوتهُ الأصغر منه بحاجة إلى رعاية و اهتمام كبيرين ..ولمّا لم يقتنع بكلامها كانت تبكي و تقول : إنّ سبب شعوره هذا هي بدرٌ التي سرقته منها ، و كادت تسرق أولادها جميعاً . "

" لقد عانت والدته الأمرّين و خنقتها الغصّةُ مراراً أمام هذا الظلم غير المُبرّر لها و لابنها .. و بمرور الأيّام خبت الغصّة في صدرِ آمنة... و بقيت بعيدةً عنه و لم يكن هو أقلّ بعداً عنها ، إلى أن ترك المنزل و رحل إلى قرية بنت جبيل الجنوبية بعد أن عُيّن أستاذاً في مدرستها و هو لمّا يزل بعد في الثامنة عشر من عمره . فهرولت والدتهُ مستغلّةً بُعدَ بدرٍ

عنه لكي تُمارسَ أمومتها ، وسكنت معه في ذات المنزل لتُغدق عليه ممّا لم تكن آمنة قادرة على القيام به ، لكنّ محمد علي ، بدأ يُصوّب اتهامه لبدر من دون أن يُشعرها بذلك ، وأصبح هدفُه أن يعودَ إلى حضن أُمّه طفلاً كما يفعل إخوتهُ أمام ناظره و هو يقبع أمامهم كالغريب ، لا حول ولا قوّة له ... العاطفة بينه و بين والدته قد لفظت أنفاسها الأخيرة فكاد الحزنُ يرديه ، و تحوّل إلى ارتخاءٍ في طرفي شفّته كأنّهُ في حالة اكتئابٍ دائمٍ ، و بكاءٍ صامت ، و دموعٍ تنضب ، من دون جدوى. فقساوة القدر فجّرت بداخله ينابيع الشعر و مضى يُعبّرُ عن حاله في أبياته ."

ولكنّ شمس الدين قد حُرم عاطفة الأب أيضاً ، لا بل كانت طفولته ضحيّةً بسبب تبلّد عاطفة الأب ، وسوء تقديره لما سينعكسُ عليه قراره الظالم سوءاً ومرارةً وتحطيماً بحقّ فِلذة كبده .. وبعد هذا السرد القصصي لأوّل وهلة ، و في هذا الملخّص لسيرة طفولة الشاعر يتراءى لنا و كأنّنا أمام فيلمٍ سينمائيّ تراجيديّ يُضيء على سيرةِ طفولة شاعرٍ كبيرٍ عانى من فقدانه لحنان الأبوين وهو لم يتيتّم ! وهذا ما جعل السيلُ يبلغُ الزبى في حياته ! . وبالإمكان القول أنّ هذه الطفولة الحزينة المؤلمة قد أنبتت الابداع الشعري من آتون المأساة لا بل من جلمود الصخر حيثُ نبتت أقحوانة الشعر الشمس الديني الذي اعتبر أنّ الوجود هشٌّ وأنّ الهشاشة هي المنتصرة على كلّ شيء ...

و يُعتبرُأحد أبرز الشعراء العرب المعاصرين و تمتدُّ تجربته الشهرية إلى ما يقربُ من نصف قرنٍ من العطاء الشعري المتواصل ، وقد عاش في بيئةٍ ريفيّةٍ ووُلد في قريةٍ جنوبيّةٍ تُحاكي الطبيعة والعواصف والرياح ، وهو المشتعلُ بحيْرته منذ طفولته فراح يبحث عن ذاته ، وكان في العاشرة من العمر يدخل إلى غرفته و يصنعُ من الألعاب صفّاً و يتخيّل نفسه قائد أوركسترا، و بعدها تعلّم الأكورديون لكن تبيّن للطفل أنّه لن يصيرَ مبدعاً في الموسيقى فلم يُرضي غروره أن يكون عازفاً بسيطاً ،فكتبَ قصصاً قصيرةً و تبيّن للطفل مرّةً أُخرى أنّ كلّ هذه الجهود لم تملأ النقطة الشاغرة في نفسه حتّى بدأ كتابة ما يمكن أن يُسمّى شعراً بعد

ذلك ، لذا فالشعرُ كان الدواء لحيْرته والجواب الشافي لأسئلته الأولى . لقد كان الحزنُ مربضهُ والوعيُ سنابلُ حيْرته و تساؤلاته الجمّة ، وكما قال الاعلامي بشري عبد المؤمن :" يُضفي على امرأةِ القصيدة من مُخيّلته و يبتكرها ابتكاراً ، فتُصبحُ الحياة فيما بعد امرأةً تشبهها وحينما تسأله ماذا تريد من القصيدة ؟ فيقول لك بلاتردّد " لا أعلم " ..."

و كان من عاداته أن ينقل أهمّ ما أحبّه من مطالعاته على دفاتر خاصة و كرّاسات يعودُ لها بين وقتٍ وآخر و هي كرّاساتِ المُطالعة ، و ذلك لأنَ الذاكرة تنسى ، و هذه الكرّاسات قد اعتبرها ذاكرته المختارة من آلاف الكتب التي قرأها. و قد تغيّرت علاقته مع الكتب بعد دخول الكتاب الالكتروني ، فالكتب الورقية أو المكتبات الورقيّة التي كوّنها في أماكن إقامته و تنقّله كثرت واختلطت و صار من الصّعب إيجاد كتاب فيها .و كان يضطرُّ لشرائه ثانيةً مع علمه بوجوده في زاويةٍ ما في إحدى مكتباته ! هنا جاءت المكتبة الالكترونية لتكون دليلاً سريعاً و شاملاً . صار غوغل مرجعاً أساسياً له مع متعته الخاصة بكتب الشعر والروايات الورقية . و في حديثه عن مكتبته قال : " هذا جزءٌ من علاقتي بمكتبتي و لا أخفي أنه ينتابني أحياناً نفورٌ منها أو رغبةٌ بحرقها أو ضجرٌ لأسبابٍ تظهر في بعض شعري . " ... لقد كان ينتقمُ لطفولته بتمرّده على كلّ شيء حتّى على مكتبته وأشعاره ...وأخيراً إنتقم من الوجود عندما استخفّ به في فلسفته وجعله هشّاً لا بل زبداً سوف يتناثر ...

إنّه الشاعر المتمرّد على النمطيّة حتّى إنّه كان يرفض الاستعباد معتبراً أنّ الكتاب كالبلبل يجب أن يطير و أن لا يُسجن في قفص ! لقد احتكّ بالغرب من خلال سفراته لا بل من خلال مطالعاته المُبْحرة دون هوادة ممّا وسّع آفاقه ، ولكن كان للفلسفة ولتربيته الاسلامية تأثيراً كبيراً في كتاباته و هذا ما جعله مرناً غير مُتعصّبٍ لأنه فهم كُنه الأشياء وروح الأديان و العقائد المتنوّعة ، و قد عمد إلى العقل كمقياسٍ للنقد والقبول والرفض في الشؤون الفكريّة وهذا ما يُفسّر إعجابه بالمعرّي من ناحية ، كما عمد إلى الروحانية الايمانية التي جعلته صوفيّاً متأثّراً بتربيته الدينية التي لم تأسرْ شخصيته بل زادتها صقلاً ، وهذا ما جعل قصائده

غنيّةً بالرومانسيّة والحكمة والفلسفة ، كما جعلته يُعجبُ بجبران خليل جبران والمتنبّي وابن عربي وغيرهم... و إذا كان القرآنُ الكريمُ قد وهبنا نعمةً ترينا " في شجر الزيتون سرّ الكهرباء " ، ففي قصائد شمس الدين نراه لا يزيح الستار عن الأسرار بل يُنوّرها و يُلوّنها بقوسِ قزّحٍ يُبشّرُ بالمطر كي تبقى شجرة شعره مُشعّة وارفة الظل ، وبما أنّ للايجاز مقامٌ ، وللإطنابِ مقاماتٌ فإنّنا نراه يختصرُ المسافات للوصول إلى الأفكار بخفّةٍ سحريّة . لم يكنْ يُحبُّ الخُطَب الحماسيّة التي يُطلبُ بها التأثيرُ في الاحساس و تحريك الشعور و تهييج العواطف ، واشتمالها على ما يُمكن الاستغناء عنه بحسب جوهر الكلام ، وتركه مخلّ بالبلاغة ، لأنّه لا يُؤثّرُ الأثر المطلوب منه والمرغوب لذلك نراه في قصائده يرفلُ بحبّه لتحرير الانسان ، والمقاومة ولكن بصورٍ رمزيّةٍ إيحائيّةٍ مؤثّرةٍ أكثر بكثيرٍ من ضجيج الكثير من القصائد التي تُذكّرنا بالقول المأثور :" أسمعُ جعجعةً و لا أرى طحيناً " ، ولكي لا يُقال كما قال أمين الريحاني :" و لا يفوتنّك أنّ في سقطات النوابغ والأبطال والنبيّين ما يُستفاد به ممّا ليس في فضائل العامة". و لا يسعنا إلّا أن نذكر ما قاله الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في حواره مع أمين الريحاني : "وليس هذا فحسبُ أو ليس إلياذة هوميروس واوديسته ، و شاهنامة الفرس، وبهاريارنامة و أمثالها ، " وأُضيفُ إليها أساطير أوغاريت " قالت لها الأمم في العظمة وقعدت ، وركعت لها الشعراء وسجدت؟ و أنت تعلمُ جيّداً ما هي عليه من التطويل و كدّ الطبع ، ومزج الحقائق بالأباطيل . و أكثرها أوهام و خيالات ، و آراء و ثنيّات ، وحروبٌ مختلقات ." . لقد تميّز بأسلوبه الخاص الذي يُضيء على جوهر الأشياء بقليلٍ من الكلمات و بسخاءٍ من الأفكار والصور ...

ومن الكتب التي كان يقرؤها على سبيل المثال لا الحصر : رولان بارت ، البرمنيدس (أفلاطون) ،بعض الدواوين الجديدة لشعراء و أصوات شابة ، رواية بالفرنسية للدكتور محمد طعّان ، انفرادات الشعر العراقي الجديد لعبد القادر الجنابي ، خواتم أنسي الحاج ، مختارات من قصائد جلال الدين الرومي ، نواحي فان غون لرينه شار الفرنسية . صلاح ستيتية .

...لقد تحلّى بمواقف سياسية مشرّفة توّجت إخلاصه للجنوب والوطن والأمة العربية والانسان في كلّ زمكان .

و في مقابلةٍ له مع مجلة الدستور مع أ. خالد سامح يقول : " على المستوى السياسي فإنّ خلاص لبنان في انصهار طوائفه و عشائره و تيّاراته السياسية في شعبٍ واحد والآن فإنّ خلاص لبنان في انصهار طوائفه و عشائره و تيّاراته السياسية في شعبٍ واحد ، والآن ليس لدينا شعب و إنّما شعوباً ، وصحيح لدينا مقاومة رائعة في إنجازها ، ولكن كم أتمنى أن تُمثّل كل أطياف الشعب اللبناني و تنصهرُ فيها كلُّ الطوائف ، ولا تحملها طائفة واحدة ، و هنا و هنا أمل للدولة التي هي أسمى رمز سياسي للحكم والمقاومة ، و هي جامعة الوطن و أقصى ما أصبوا إليه الالتقاء بهذه الدولة ، ولكن أين هي الآن ؟ من هنا فإنّي أرى أنّ مشكلتنا في لبنان ليست سياسية فقط وإنّما ثقافة تتعلق بموروثات عديدة علينا تجاوزها ، ومنها فكرة الانتماء الأوحد للطائفة أو العشيرة المذهب و غياب الوطن الجامع بين كلّ تلك الانتماءات ".

لقد كان مواطناً علمانياً بامتياز ، يُمارس عبادته لربّه دون أن يتعارض مع معتقدات الآخرين فلكلّ أيديولوجيته ومذهبه وطائفته ولكنّ الوطن للجميع جيشاً و مقاومةً وشعباً...لقد كان يرى أنّ دور المثقف يجب أن يكون جزءاً من مشروع ثقافي و سياسي للوطن اللبناني ، و لمعاني السلطة العادلة والدولة القوية ذات الموقع العربي والدولي ، وأن يكون جزءاً من الحداثة والديمقراطية والحرّيات ، فهذا هو الهمّ العام لمعظم اللبنانيين ، وقبل كلّ شيء على المثقف اللبناني أن يُساهم في تحديد عدوِّ بلاده من صديقها .

إنّه ذلك المتصوّف و يبدو ذلك من خلال طقوسه الشعريّة التي هي موزاييك من العاطفة المتأجّجة والنار الفلسفيّة والمكاشفة الصوفيّة . هو الصيّاد الذي يعرفُ متى يقدحُ زناد قلمه السحري لكي يصطاد غزلان الكلمات المهرّبة إلى حبيبته آسيا ، و هو من جعل للزبد كرسيّاً ، و جعل المراكب المهجورة تطفو على وجه البحر مشبّهاً النوارس بالبروق ...

أربعةُ عقودٍ تزيّنت بمفاتن كواكب قصائده مشكّلةً مغامراته الشعريّة السحريّة الزاخرة بالصور والألوان والأصوات والموسيقى والفن التصويري والفلسفة والعاطفة حيناً ، والتمرّد حيناً آخر فبلغ عدد مجموعاته الشعرية الرابعة والعشرين مع ديوانه الأخير خدوش على التاج ، والتي تحوّلت إلى نجومٍ برّاقةٍ تدورُ في فلك الشعر العربي إنطلاقاً من مجموعته الأولى " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا "عام 1975 وصولاً إلى ديوانه الأخير "خدوش على التاج " الصادر في 2022/12/04 أي بعد وفاته . لقد كان للأسطورة مكاناً مميّزاً في شعره ومن ذلك نذكر اعتباره للآلهة أنانا التي أيقظها في ديوانه " آخر ما تركته البراري " الصادر عن دار النهضة 2020 أنّها هي آسيا التي سافرت معه إلى البصرة منذُ ما يقارب النصف قرن من الزمان، وكانت تبكي آخر الليل والريح تنقرُ الباب والدم ...آلهة الحب و الحرب والتحولات .. فبالشعر يتمّ هذا التماهي الخطير بين الأسماء والأماكن والأزمنة . وقد ورد اسم إنانا في أسطورة سومريّة تتحدث عن الكاهنة إنانا التي دخلت البستان صباحاً فغلبها النومُ تعباً فرآها البستاني فقبّلها و ضاجعها ، وفضّ بكارتها ، وعاد ألى طرفِ بستانه و عندما عرفت الحقيقة في الصباح ملأت جميع آبار البلاد بالدم ، و فاضت كلّ الغابات والبساتين بالدم .." " أنظر مغامرة العقل الأولى – فراس السوّاح . هكذا عبْر الشعر خاض السندبادُ مغامراته الخطيرة حتى طال الأساطير مجتازاً الزمن بكلّ جراة إذ يُعقّب على ذلك قائلاً : " لستُ سوى مسافر"!

ثمّ راح يُبحرُ من الشعر العربي إلى الشعر العالمي حتّى استطاع أن يجمع كنوزه الشعرية والفلسفية والفكرية بشكلٍ عام ، و راح يسكبها و ينظمها شعراً إيقاعيّاً أو موزوناً متلألئاً متزيّناً بالفنون والرسوم والألوان ،و أصوات الموسيقى ، والصور الحالمة ، والجمال والفلسفة التي كان ينزفها حبره كلماتٍ ليست كالكلمات ... و من ثمّ أحاطها بصوفيّة نديّةٍ سموحة ناعمة تتماهى مع الخالق و تذوب فيه . و لم يلبث أن تحوّل سندباداً للشعر يُهاجم

كلّ السفن الشعرية و يخضعها لمحكمته و عدالته و يأخذ منها الغنائم التي أضفت على شعره نكهةً خاصة و كمالاً و رُقيّاً و إبداعاً ...

و في كتاب الطواف " يقدّم سيرةً مزدوجة كما يُشير عنوانه الفرعي ، سيرة الشاعر في الحرب و سيرته في الكتابة . النصف الأوّل تُهيمنُ عليه أحوال و أهوال الحرب الأهلية اللبنانية والاجتياح الاسرائيلي ، و هو مكتوبٌ بنفس قصصي واضح يكشف عن كاتب سردٍ متمكّن من أدواته كان يُمكن أن يمضي أبعد في هذا الدرب لو أنّه شاء ذلك . أمّا النصف الآخر فيُقدّم تأملات معمّقة في الشعر و الكتابة تستحقّ التأمّل فيها والرجوع إليها والاستضاءة بها . كتابٌ آخر يُفنّدُ أنّ " النثر فضيحةُ الشاعر " حسب الكاتب عبد الوهاب ابو زيد . و في هذا الديوان يتساءل شمس الدين : " تستوقفني أحياناً وانا أجلس في بيتي أصواتٌ لا أعرفها تأتي من زاوية لم تكشف للشمس حواشيها ، أسأل نفسي : هل لحجارة هذا البيت فمٌ ؟ فسُئِل ما هو كُنهُ هذه الأصوات التي لطالما استوقفته منذ نحو نصف قرن ؟ فردّ قائلاً : الأصوات التي تفاجئني حين أجلس في الليل تأتي من ناحية غامضة في جهة الغيب . و هي نداءاتُ الشعر التي أعتقد أنّها تأتي من ناحية ميتافيزيقية يُصعبُ تحديدها ، و لعلّني في هذا المقام أجد نفسي مُلتجئاً للشاعر حين يقول : " فكان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيراً و لا تسألني عن الخبر".

إذاً هو ذلك المثالي المتماهي مع الوحي الشعري الباحث عن ميتافيزيقيّة مجهولة لكنّها خِصبة ودودة و موحية ، هذه الميتافيزيقيّة – السنبلة التي كانت ترفده بقمح الشعر لم يردْ معرفة إقامتها طالما أنّها كانت خيّرة و كريمة فهي تسخى و لا تأخذ بل تُرسل ملاكها الايحائي في صورة نهرٍ دافقٍ من الأخيلة و الأحاسيس و الأسرار المنفضّة إكراماً للشاعر ! و قد تكونُ هلوساتٌ مجديةٌ في هذا العالم الواقعي ، هذه الهلوسات التي اكتسبها الشعراء الفرنسيون من أمثال فلوبير و بودلير و غيرهم من الذين انتسبوا إلى نادي الحشّاشين " Les Assasins عبر تناول المخدّرات في أوآخر القرون الوسطى " ، لكنّ شاعرنا تناول

هذه الأخيلة الفاتنة من إيمانٍ دافىءٍ و نبعِ عمرٍ   لا بل هامة امتدّت من صخر عاملة إلى صخر صنّين ، وطافت فوق وجه البحر وصولاً إلى فلسطين و شبه الجزيرة العربية لا بل علىِ مجد الأمّة العربية. لقد اعتبر أنّ العبث جزءٌ من الشعر و أضاف إليه الضجر واللعب ، واعتبر أيضاً : " أنّ الشعر ليس هذا وحده بل هو مكاشفةٌ عميقة للانسان ، هو يُحدّق في ذاته و في ما يُحيط به من الوجود. وهذه المكاشفة تضعه في غابة من الأسئلة في متعةٍ غامرة ، وفي وحشةٍ لا توصف... و ليس بين يديه سوى الكلمات ، وحين يجدها لا تكفي فيلجأُ إلى الصمت فيصبحُ الشعرُ هو الصمتُ بالمعنى الوجودي والصوفي للصمت ." و لكن أيّها الشاعر الذي عبر إلى ملكوت الله هل في غمرة العبث والصخب واللعب تنبتُ غرسة الشعر خضراءَ وارفة ؟! و هل تودّ القول : من الأرض الجرداء تنبتُ بتلات هذه الغرسة ؟ ثمّ تنمو شجرة تمتدّ جذُورها إلى عمق الانسان المتلاطم بين أعماق ذاته وبين ما يُحيقُ به من الوجود؟ نعم أنّها مكاشفة عجيبة و متعتها تكمن في عمقها لأنّ الصمتَ قد يغورُ إلى الأعماق حيث يشعر بالراحة الكبرى و سفرُ الكلمات في مجاهل الحياة تجعل الشعرَ صمتاً ! إنّها الصوفيةُ الناعمة كعصفورٍ ملوّنٍ في غابة الوجود الغريب الطلّة . و في حواره المفتوح مع الدكتور جابر عصفور في القاهرة في دار الأوبرا لدى افتتاح الملتقى العالمي الثاني للشعر العربي في مصر نقض ما قاله عصفور في كتابه المثير " زمن الرواية " الصادر عام 1999 عن أنّ الشعرَ قد خسر الرهان لصالح الرواية ، و بيّن أنّ الرواية فنٌّ حديث يعتمد على السردِ والتقص ، و أنّ الشعر هو ذُروة الفنونِ و إليه تصبو جميعها بما في ذلك الرواية باعتراف نجيب محفوظ و غارسيا ماركيز ، و لا تجوزهذه المفاضلة بين فئتين مختلفتين . و قد ذُكرت هذه المفاضلة بينهما داخل مصر و خارجها آنذاك .

د. شمس الدين والعالم العبقري حسن كامل الصبّاح : ويتحدّث محمد علي شمس الدين عن تفكير بعض المستشرقين ، ونظرتهم العدائية نحن الشرق ، واتهاماتهم الباطلة لخرافية العقل العربي ، و غرقه في غيبوبة الأوهام مؤكّداً أنّ حسن كامل الصبّاح كان الردُّ العمليُّ في

تلك المرحلة على هذه الادعاءات الباطلة حتماً إذ يقول :" كان المستشرق الفرنسي أرنست رينان في محاضراته في السوربون ، يعتبرُ العقل الشرقي مُشرّب بالدين أي بالوهم ، وكان يعتبرُ الاسلام ضدّ العلم . و على الرغم من دفاع جمال الدين الأفغاني المستفيض عن هذا الاتهام بسوقه أدلّة متنوّعة عن تفتّح العلوم الافتراضية الذهنية والاختبارية أيضاً في العصور الذهبيّة للاسلام في القرن العاشر الميلادي الرابع للهجرة ، و تحت ظلّ و عهدة الحضارة الاسلامية . إلّا أنّ الخطّ السائد القبلي للاستشراق ، ظلّ في هذا المنحنى الاتهامي المدمّر للعقل الشرقي.. لأنّه يسمه بالخرافة و الغيب ،ويُجرّده من التجريب و الملاحظة والعقل . كان يظهر بين الفينة والفينة من يكشف الوجه التسلّطي السياسي الاقتصادي للاستشراق .كان يبرزُ من يفضح تهافت هذه النظرية ، نظرياً أيضاً . وأبرز من تصدّى لهذا العمل المهم حالياً المستشرق الكبير الدكتور إدوارد سعيد في " كتابه الاستشراق "و بحثه العميق حول السلطة والمعرفة . و قد تُرجم هذا الكتاب من الانكليزية إلى أكثر من لغة عالمية ، ومنها اللغة العربية .

إنّ هذا الجانب النظري السجالي في الرد على الاستشراق لا بدّ أن يدعمه و يُزكّيه وجه آخر لا يقلّ أهميّة و يتلخّص في الاثبات الفعلي لعقلانية العقل العربي ..و ذلك عبر إسهام المفكرين العرب والمخترعين العرب في ترسيخ و تطوير الفكر العلمي والتجريب العلمي والابتكار التطبيقي للعلم . إنّ مجرّد قولنا"حسن كامل الصبّاح " هو مخترع عربي يُشكّل ردّاً عملياً من دون نظريات على إفتراض خرافية العقل العربي و غيبيّته و تأخّره ..و يتعزّز هذا الموقف حين نعرف أنّ حسن كامل الصبّاح فتى الكهرباء ، وأكبر مهندس كهربائي في أكبر شركة في الولايات المتحدة الأميركية(جنرال إلكتريك) و صاحب أكثر من ثمانين اختراعاً علميّاً مسجّلاً، منها إختراع الرؤية عن بعد(التلفزيون) هو رجلٌ عربيٌّ شرقيٌّ مسلم يؤمن بالدين والأخلاق والله والآخرة والثواب والعقاب .. يؤمن بالأديان جميعاً ، أي يؤمن بالفكر الديني ، ولا تفوته ممارسة الفرائض العامة من صلاة وصوم .." مقتطفات نُشرت في مجلة الكفاح

العربي عدد 1984/11/05 و كتاب العبقري الفيلسوف حسن كامل الصباح –عباس وهبي ".

فكلا الشاعر والعالم يتماهيان مع الخالق ، و كلاهما يؤمن بالعقيدة الاسلامية دونما أيّ تزمت بل بانفتاح روحاني : و ألم يقل الصبّاح يوماً " أنّ الشعر هو فنّ جميل و ذلك في كتاباته المختارة ؟! " و هذا ما رأيناه في شعر شمس الدين بصوره الخلّابة . وتبرز الحماسة للعروبة والاسلام وللعقل الشرقي بوضوح عند الاثنين معاً إذ قال الصبّاح يوماً " إنّني إن رغبتُ في إتيان عملٍ عظيم ، فما فعلي ذلك إلّا لأُظهر للعالم الغربيّ أنّ الشرقيّ يمكنه أن يقوم بجلائل الأعمال لخدمة المجتمع الإنساني " . فالحبّ للأُمّة والتقدير للعقل العربي المبدع ، والالتزام بخدمة المجتمع الانساني هي أُمورٌ مشتركة و متقاطعة بين الشاعر، والعالم المخترع الشاعر أيضاً . لابل إنّ شمس الدين قد عشق إبداعات حسن كامل الصبّاح الوهّاجة قائلاً عنه " هنا يظهر ذاك المزيج الرائع من جوهر الشرق و علم الغرب في شخصية الصبّاح ..." كما يقول عنه ": إنّه عاشق أسرار لا المال هدفه و لا الجاه الفارغ .. هدفه ومجده هو فضّ الأسرار .. " ، ولكن أو ليس شمس الدين هو عاشقٌ للأسرار أيضاً ؟ و هذا ما يبدو في قصائده . و يُعلّق على شعر الصبّاح قائلاً :" نلاحظ إمتزاج العلم بمعاني حسن كامل الصبّاح الشعرية حتّى كأنّه في بيتيه الأخيرين من إحدى قصائده يصف التلفزيون شعراً ". و كذلك شمس الدين لم يكن هدفه كشاعر و باحث وأديب المال والجاه الفارغ، فهل يُنتسى موقفه الوطني والقومي حين سحب ترشيحه لجائزة الشيخ زايد للكتاب في أبو ظبي للعام 2020 عن كتاب آخر ما تركته البراري الصادر عن دار النهضة العربية . فيقول في هذا الشأن :" و كانت الدار قد قدّمته للجائزة بعد تفويض مني قبل إعلان الاتفاق الأميركي الاماراتي الاسرائيلي الذي شكّل سبباً كافياً و مقنعاً لي لاتخاذ هذا الموقف بسحب الترشيح والتفويض معاً. و كان آخر ما قرأته ما كتبَه الشاعر الدكتور محمد ناصر الدين في ملحق كلمات من جريدة الأخبار حيث شبّه قولي في قصيدة " الغيوم التي في

الضواحي " : يا إخوتي / في شهر تموز من عام جرح و ألفين بعد المسيح / و سبعين مجزرة في القرى في طريق الامام الذبيح / سجّلوا في دفاتركم ما يلي : لقد أزف الوقت واكتملت كربلاء / مثلما شاءها الأقوياء ". .. قال ناصر الدين " كلماتٌ أشبه بالصاروخ الذي أصاب البارجة في البحر ." لي ملاحظتان حول مجمل ذلك : الأولى هي شعوري من خلال ألآف الاتصالات و الملاحظات التي وصلتني وجود شعور عربي عام بالحدّة للكرامة ، و أنّ ثمّة عيناً أخرى خلف الظاهر من الشاشات تعرف الحقائق المرّة ، و يهمّها ربّما مع الحب أو حتّى قبله الاحساس بالكرامة في معادلات الصراع ، وأنّ الانسان يكون أوّلاً قويّاً ثمّ ثمّ .. أخلاقياً . من هنا جملة :" لقد أزف الوقت واكتملت كربلاء / مثلما شاءها الأقوياء / ..فنهر الدمع الكربلائي التاريخي الطويل ، ومناحات البكاء والتفجّع ... لا تكتمل إلّا بانتصار القوة بل هي من دون القوة فولوكلور للفرجة .."

إنّه الحسيني المقاوم بالكلمة وبسلاح الموقف الذي قد يكون أشدّ وقعاً من ضربة السيف المُهنّد . إنّه لم يبحث عن الغنى الماديّ محرّراً نفسه من شهوة تكديس المال ، بل كان همّه هو الأمّة وتحديداً فلسطين الأبيّة ، فلم يخنع و لم يُشارك و هو يشعر بموقف العزّة متماهياً مع سيد الشهداء "أبا عبدالله الحسين" فكان موقفه القومي المشرّف ...

نظرة محمد علي شمس الدين إلى الشعر الحديث" : و حول الحداثة فإنّه يراها مقترنة بالشعور بالنقصان و عدم الاكتمال ، وهي بحثٌ دائم عن الجديد ..." . و هنا يُلامسنا حسٌّ فلسفيٌّ ماديٌّ نسبيٌّ إذ أسبغ على الحداثة صفة عدم الاكتمال ، وقد تحلّى بديناميكيّة سلسة فرغم أنّه من روّاد شعر الحداثة فهو لم يكنْ متعصّباً لها بل ازداد تقديراً عندما دمجها بالجوهر العلمي متحدّثاً عن حتمية التطوير من خلال البحث الدائم المتجدّد. و في رأيه أيضاً هي ليست نتيجة البحث عن الجديد وحده بل هي توقُ المخيّلة الدائم للابتكار والتجاوز . إذاً لقد جعل الشعر ابتكاراً مستمرّاً و كأنّي به يُردّد ما قاله أحد الشعراء الانكليز :" الشاعر هو رياضيٌّ بطبعه " ، كذلك ما قاله بول سارتر : " الشاعر غير الشعر، و ما قاله سعيد عقل في

النبطية يوما ":" إنّ الشعرَ خلقٌ " .. أمّا بالنسبة لقصيدة النثر فقد عرّفها بأنّها نمط شعري جديد ابتكره الشاعر الفرنسي بودلير ، و هي إضافة حقيقية لأساليب الشعر و تقنياته . و أضاف أنّها تُشكّل نظرياً و عملياً تغييراً مهمّاً و مفصليّاً في مفهوم الشعر وارتباطه التقليدي العريق بالوزن كما رأى أرسطو في كتاب الشعر والفلاسفة ، والنقّاد العرب في نظرتهم – الموسيقي الايقاعي في الشعر ، و هو ما اقترحته قصيدة النثر. لقد توطّدت علاقات شمس الدين بصداقاتٍ مميّزة مع البيّاتي و بلند الحيدري و يوسف الصايغ وطهمازي و عبد القادر الحنّابي و شاركهم في مهرجان المربد عام 1974 ، وكانت آخر زيارة له إلى بغداد في أوآخر عام 2020 بدعوةٍ من إتحاد الأدباء . و عندما وصل إلى مطار بغداد و في مقابلة صحافيّة قال فيها بكلّ اعتداد : " أنا في بغداد " و كأنّي به يقول أنا قيصرُ الشعر العربي قد وصلتُ إلى مرتع الشعر في بلاد الفرات . و في هذه المقابلة قيّم علاقته بالعراق و شعرائه على أنّها وطيدة و مديدة ، وأنّ علاقته بالشعر العراقي مبكرة . و قد سبّبها السيّاب بدايةً و حين زار العراق أوّل مرّة في مربد البصرة عام 1974 ، و أنّ من دواعي الزيارة الذهاب إلى أماكن ذكرها بدر في أبي الخصيب . من البصرة انطلقت قصائدُ مهرّبة إلى حبيبتي آسيا و هناك عقد صداقاته الثمينة مع الشعراء العراقيين ، و بينه و بين البيّاتي وشائج فنّية ، وبينهما أربعون رسالة تبادلاها في مختلف مراحل حياته . و قد كانت علاقته بأجيال الشعر العراقي جيدة ، جماعة كركوك فاضل الغزاوي ، و سركون بولص ، و مؤيد الراوي ووليد جمعة حميد ..و في عام 2020 لبّى دعوة أتحاد الأدباء والكتّاب العرب في العراق مقيماً ندوةً شعرية في مقرّ الاتحاد في بغداد ، وأُمسية في الجامعة المستنصريّة . كما عقد ندوةً نقديّة متعدّدة الأصوات حول شعره في قصر الاتحاد معتبراً أنّ العراق نبعٌ من ينابيع الشعر دائم التدفّق على خصوصيات كثيرة ، و قد قيل ذات يوم إنّ الشعر عراقي . و يرى شمس الدين في ردّه على سؤال حول أنّ الشعر قد وصل إلى مرحلة اللاجدوى برأي الكثيرين في ظلّ فداحة الخراب المحيق من كلّ حدبٍ و صوب فأجاب : أنه لا يريد و لا يرغب باقتناع أحدٍ

بالشعر بل يرى أنّه استحقاق لمن يستحقّه ، و كما قال السيد المسيح :" ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ". ، بل بأمرٍ ما آخر قد يكون الشعر أحد احتمالاته .والشعر برأيه أشبه ما يكون بنهرٍ متدفّق كالنيل أو الفرات ، لكنّه من نبعٍ غامض أو نصفٍ مُعتم ، ويجري في سهول و منحدرات واسعة اسمها الزمان ، و يصبُّ في بحرٍ من الوجود ، ليتبخّر بفعل أشعّة شمس الله و يتحوّل لغيوم تسقط على منابعه وتكوّنه من جديد ." .

الشعرُ كالماء : لقد جعل شمس الدين الشعرَ كالماء في ولادته وحركته و سيرورته ، أو ليس في البداية كان عرشُ الله على الماء ؟ أم برأيه كان عرشه على الشعر "! وفي حواره مع الدكتور نور الدين الورفلي حول الشعر والقصيدة و أسرارها و أصواتها ، قال :" أنت من يأتيها والحال أنّ القصيدة حاضرة و غائبة في مكان ما في نفسي في وقتٍ واحد أشبه ما تكون بسكون بُحيرةٍ لا أعرفُ متى تُحرّكها الريح و كيف ... إنّي أنتظر السوانح و ألتقطها إذا استطعتُ لذلك سبيلاً إذ كثيراً ما تمرُّ و لا أستطيع الامساك بها ." هنا نرى شمس الدين قد جمع الضدّين في قالبٍ واحد ألا وهو الغياب والحضور ، و لا غرو بذلك ، أليست نواة الذرّة تحتضنُ الالكترون والبروتون في آنٍ معاً ؟! و يُتابع : " بالطبع القصيدة غالباً ما تكون حرّة و صاخبة تُعزّز و تمنع و لستُ ممن يدّعون أنّي قادرٌ على جلبها بمحض إرادتي و رغبتي بالصيغة ، لكن لأكنْ دقيقاً و صادقاً لا جبر في القصيدة ، و لا تفويض كأقدارنا نشاء و يشاء ، لمن أكتب القصيدة وتقصدني ، و هكذا أديرُ عجلات هذه المركبة الربّانية ، وتدور بي . وفي النتيجة بين يدينا قصائد مولودة موجودة تماماً كأطفالنا و ذرارينا ." لم يأسر د. شمس الدين القصيدة بل تركها كوصيٍّ يوحى من داخله و شبّهها كالقدر المُفوّض ، إنّها مركبةٌ زمنية تدورُ وتدورُ و في دورانها ألفُ رحلةٍ وجودية ، وقد تكون ما ورائية حالمة ، و هو يستطيعُ أن يعبرَ بسرعة الضوء إلى أيّ زمكان ، ويعود بمولوداته الفضائية قصائد تحبو ترفل تغدو كذراريته ، و أطفاله ، تسكنُ في مخيّلته ، وفي منزله و في دفاتر أشعاره . و يُتابع قائلاً : " نعم تتزاحم و تُطلّ برؤوسها و تتمنّعُ و خلال الكتابة غالباً ما أكتبُ أكثر

من قصيدة واحدة في وقتٍ واحد بمعنى إحتمالات و أشكال في تجارب عديدة في المعنى و السياق والشكل واللغة والموسيقى ، و هناك تدفّق و لكن أيضاً تمنع وتُفسّر أحياناً ، يقفُ مجرى فتبقى القصيدة معلّقة ، ولا أعلم متى يفتح المجرى أو يفتح لي .." لقد جعل بأنامله السحريّة القصيدة قصائد من خلال تسييله لها سياقاً و شكلاً و صرفاً و نحواً وبلاغةً و موسيقى ، و كيف لا فهو أميرال الطيور الساحر الذي قد يجعلها نهراً دافقاً دون هوادة لكنّه يعود لتواضعه و لانسانيته ليبرز معاناته مؤكّداً أنّ الشاعر عندما يسبح في نهر القصيدة لا يصلُ إلى ضفّته الخضراء المنتظرة بلهفة ، بل قد يكون هناك ليلٌ مسكونٌ بكلمة متمرّدة أو وزنٍ شارد كغزالٍ في غابة مظلمة ، أو أنّ يكون قد تعثّر من بلادة صخرةٍ رغم أنّ قلبَ الصخر أحنُّ من قلوب الناس !

ويرى أنّ الشعرَمركبةٌ غامضة لها إتجاهات مثيرة كثيرة ، ولكنّها قلقة لا المعنى مستقرٌّ و لا اتجاه الريح معروف ، والمركبة تسير في هذا الهياج و لكنّها قد تتحطّم . غالباً ما مركباتي تتحطّم لذلك تشعرُ بطعمٍ رمادي في ما أكتب ، و ربّما عدمية ، والصوفية التي أحيت ما تبدّد في أحوالي أخيراً منحتني احتمالات التعامل مع الأقدار والموت والحبّ والرهبة بما يُشبه الغيبوبة اللذيذة نشوة الغيبوبة ."

تعليق : لقد كتب هذه الأجوبة في 2022/05/09 أي قبل عدة أشهر من وفاته . لذلك نشعر بذلك التلاطم والقلق الذي اعتراه ، والسؤلا هل هو المرض الذي تغلغل في رئتيه أم أنّه انقلاب العمر ، و استغاثاتُ الطفولة المقهورة ؟ لذا نراه يرسم بالشعر و كأنّه في بحرٍ هائج تلاطم والريحُ تعصفُ من كلّ حدبٍ وصوب ، وليس هذا فحسبُ بل أقرّ بحتمية التحطم كما تحطّمت مركباته من قبل ، و ذوّقنا الطعم الرمادي من خلال ما كتبه ، أو بالأحرى لقد علت موجةُ العدمية لديه لكنّ الصدفة كانت المنقذ والموجّه والموعظ لكيفيّة التعامل مع الأقدار والموت والحب والرهبة إلى حدّ الهذيان كمخدّرٍ و هنا مخدِّر شاعرنا هي الصوفية اللذيذة الحالمة ، لا بل المركبة الوردية المتجهة نحو المقصد الشامل الواحد أي الله عزّ وجل

لذلك نرى مناجاته لربّه في قصيدته : " قرباني لجمالك لا تغضب فأنا لستُ قويّاً حتّى تنهرني بالموت ، يكفي أن ترسل في طلبي نسمة صيفٍ فأوافيك". " و حين نقرأ قصيدته " قتلتني عاشقتي " : و أهالت فوق تراب الأرض أغانيها / فاخضرّ العظمُ وأنبت زنبقةً يتفيّأ في تربتها الأحياء.../ و تحرسها أرواحُ محبّيها / وأتت عاشقتي في الليل تزور القبرَ / فأذهلها شبحٌ تحت الصفصاف يُناديها / صرخت من أنت ؟/ و حين أشارت للقبر و فاجأها صوتي / سقطت في صدر مغنّيها / قتلتني عاشقتي / قتلتني / و أنا في ظُلمة قبري أبكيهاَ " /... نشعرُ أنّه كان يحيا ويموت عدّة مرّات ثمّ يرفضُ قيود الزمكان فيخلد ما بين الموت والحياة حيثُ يقفل الزمن في زنزانته الخلود !

و يقول المفكّر (ROBERT BLY) :" إنّ السعادة مبعثُها الجسد أو الروح ، أو مصدر و مكان ثالث . أُفكّر كثيراً في هذا المصدر الثالث الذي طالما أعتقدتُ أنّه الحبّ حيث نذهبُ للقاء من نهواهم حقّاً ، بينما يؤمنُ آخرون أنّه الله نفسه . و يؤكد بلاي أنّ من يمنعنا من إيجاد ذلك المكان الثالث هو انشغالنا بأماكننا الحالية أكثر من اللازم ، لكنّه يزوره بسهولة عندما يقرأ أو يُترجم الشعر الصوفي ، و خصوصاً شعر حافظ الشيرازي و جلال الدين الرومي ، لأنّ حافظ يُحدّثنا من ذلك المكان ، من الحبّ أو من الله بودٍّ بالغ البساطة ". والأمر نفسهُ ينسحبُ على الشاعر محمد علي شمس الدين . وهذا ما نلاحظه من خلال قصيدته رحلة نحو العرش التي كتبها في 2022/06/01 : / ما لا يُقال و لا يُرى حلمت به أصغر " محمد " للرؤيا / و لبّاها له السماء بساط / كلّما طويت فيه المسافة نحو العرش / أدناها أكاد ألمحُ نورَ الله في يده إذا أشار إليها / ثمّ أعلاها / و ما ترنّم بالأشعار شيخُ هوى / بعد الوضوء فأحياها و أغناها / كأنّ قلبك في ليلٍ رأى حلماً / عن الصلاةِ و قبل الفجرِ صلّاها /...إذاً شاعرنا قد اختار المصدر الثالث الذي هو الله حيث الكمال المتجلّي بالوعي الأكبر والطاقة اللذين لا نقدر على تصوّرهما. هناك نحو ذلك العرش الذي كان على الماء رحل سندباد الشعر الصوفي في مركبة العشق النوراني متطهّراً من كلّ الآثام .و في

2022/08/17 نراهُ يّطلقُ قصيدته هنا/هناك فيقول : | /عليك أن تغادرَ المكان / عليك أن تغادرَ الذين طالما ألفتهم ،/كرسّيك الذي جلستَ فيه / مهدُ أمّك التي رأتك فيهِ مثل نجمةِ الزمان / و نسرُك الذي تحبّ أن تكون مثله / وكلبك الذي تحبُّ أن تدعوه "بيدبا" / و عندليب حزنك المقيم فوق أيكه / ونهد طفلة أحببتها / يكاد أن يفرَّ من قميصها كحبّة المرجان / عليك أن تغادرَ الفصول / أن يدوسَ نعلك الردى / وما غرست من ورودك التي سمّيتها على اسم فلّة الربيع / شوكة الخريف أو شقائق النعمان / عليك أن تذوبَ في المدى / كنقطةِ الدخان / وأن تغيبَ في البحار . لا صدى و لا تعود./"

لقد كان يدقّ جرس الوداع في تأمّلٍ لسيرةِ حياته ، و ما أحبّ فتنحصر النهاية في الذوبان في المدى كنقطة الدخان ، فودّع كروحٍ هائمةٍ فوق البحار في صمتٍ في حنانٍ و شوقٍ ورديٍّ، فودّع نسرَ المجد و كلبَ الوفاء ، " فيشو شارما أو بيدبا" الذي يعني في اللغة السنسكريتيّة القديمة الرجل الحكيم أو معلّم البلاط ، وهو فيلسوف و حكيم هندي ، و يُقال إنّ بيدبا قد ألّف لملك الهند " دبشليم " مؤلّفاً حول الحيوانات والطيور فيه تشخيصات رئيسية ، وهي ترمزُ في الأساس إلى شخصياتٍ بشريّة و تتضمّن القصص عدّة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم بالاضافة إلى عددٍ من الحكم والمواعظ . " أُنظر كتاب كليلة ودمنة " . و كلبُ بيدبا كان يمنعُ تسلّل اللصوص و يُطارد المتسلّلين و يبرز ذلك من خلال حوار الذئب الجائع و الدخلاء و يرضي سيّد هو يأتمرُ، بأمره ، لكنّ هذا الكلب قد وضع له صاحبه توقاً فحدّ من حرّيته !

لقد عمل العلماءُ الألمان منذ سنواتٍ طويلة على النظريّة التي تقول بأنّ المادة لا تفنى و يبقى أثرها في الفضاء ، و يرى هؤلاء العلماء أنّ كلّ من عاش على هذه الأرض له صورة منتشرة في الأثير لكنّ المشكلة هي كيف يُمكن لمْلَمتها لتُصبحَ واقعاً !! و قد نشرت مجلّةٌ علميّة ألمانيّة خبراً عنوانه بسؤال : هل ترغب أن تُشاهد المسيح حقيقةً ؟ و هل ترغب أن تُشاهد محمد بن عبد الله كما كان؟ إنتظر هي مسألة وقت ! وهذا ما جعلني أقفُ متأمّلاً لقوله

و كأنّي به يتماهى شعرياً إنطلاقاً من حسٍّ مادي علميٍّ نسبيٍّ مقروناً بمثاليةٍ حالمة . فهذا الذوبان في المدى والغيب في البحار أليس هما تلك الصورةِ المنتشرة في الأثير الفضائي ؟ فنراه يكتبُ تحت عنوان " وجاء أخو الصغير" في رثاء الشاعر الراحل حسن عبدالله : " والآن ونحنُ على مسافةٍ لا تُصدّق من موت حسن عبدالله نرغبُ في أن يكون موته كمثل قصيدته " وهمٌ من أوهام الربيع" حيثُ تلك العناصر الأوّلية للحياة ربيع و جدول و فتاة دون العشرين " تُمشّط شعر العجب" . و طاب للشاعر أن يقطفَ عصفورين عن الشجرة و حين لاحظ أنّهما لم يخافا منه ، وسألهما عن سبب ذلك " ابتسما / و أجابا من أعلى الشجرة / عجباً/ أو نهربُ من شخصٍ يتخيّل... ؟" هل مات حسن عبدالله حقّاً أم نحن نتخيّل أنّ حسن عبدالله مات؟" ! لقد مزج شمس الدين بين الواقع والحلم من خلال أسلوبٍ قصصي جاذبٍ و فلسفيّ ناعم فجعل الموت وهماً من أوهام الربيع والحياة وهماً رومانسيّاً ربيعيّاً ..و بكلّ حذاقةٍ جعلنا نمزجُ بين الموت والحياة من خلال مركبة الأخيلة الصوفية الناعمة كخدّ صبيةٍ ، يغار من روعتها القمر والرقّة في آنٍ معاً ، والتي تُسافر بنا إلى زمكانٍ حيثُ لا خوف من حاكمٍ ظالمٍ ، و لا من سيفٍ باطشٍ و لا من جوعٍ كافرٍ. وقد تتوّج هذا المزيجُ الفلسفيُّ بسؤاله هل مات ... ام نحن نتخيّل أنّه قد مات؟ و هذا ما جعلنا بعد قراءة هذا الرثاء متسائلين هل حقّاً مات محمد علي شمس الدين أم أنّ الموت قد انتعش به فعاش !؟

سؤال : و تكملةً للاجوبة مع صديقه د. نور الدين الورفلي : يقول شمس الدين : " الشعرُ جرحٌ من أقدم جروحِ الغيب " هذا هو تعريفي بالشعر فهو جرحٌ لأنّه كلمة ، والكلمة جرحٌ يجرحُ بها الشاعر الوجود ليستخرج دمه أي سرّه و باطنه و هو جرحٌ قديمٌ مُصاحبٌ للانسان من أوّل وجوده . أمّا الغيبُ فيبدأُ بالمستور المجهول ، وينتهي بالسرّ الأعظم الله عزّ وجل ..." لقد جعل شاعرُنا الكلمةَ جرحاً وخنجراً في آنٍ معاً فكيف للجرح أن يجرحَ الجرح ؟! و لكن يحقُّ للشاعر ما لا يحقّ لغيره ، فالألم بحدّ ذاته هو خنجرٌ والشعور بألم الآخرين هو تلقٍّ لطعنته . و قد جعل الشاعر أسرار الباطن دماً ، وهنا نشهدُ عودةً نحو التاريخ القديم حين

سأل الانسان عن سرِّ وجوده و خلقه ...ثمّ جعل الغيبَ كوكباً يدور من المستور الأعمى إلى النور العظيم ، أي من سرّ العتمة إلى سرّ النور . لكنّه لم يُجادل في الوجود الالهي كما فعل الفيلسوف الشاعر أبو العلاء المعرّي 973م -1057 حين قال : " قُلتم لنا خالقٌ حكيمٌ فقلنا صدقتمْ / كذا نقولُ / زعمتموهُ بلا مكانٍ و لا زمانٍ ألا فقولوا /، هذاكلامٌ له خبيءٌ معناهُ /ليست لنا عقولُ/. لقد اعتبر المعرّي أنّ الله عزّ وجل يتمتّع بالبعد الخامس الذي اكتشفه العالم العبقري حسن كامل الصبّاح الذي قال يوماً :" إنّ وجودَ مقصد واحد شامل تتجه لتحقيقه كلّ النواميس والقوى الطبيعية التي نشاهدُها هو نتيجة لازمة لوجود البعد العقلي الخامس ، أي مجرّد تنبّؤنا بالحادثات قبل وقوعها هو إقرارٌ ضمنيٌ بذلك " ، ولكنّ الصبّاح قال :" الله ليس هو ذلك الكائن الأكثر تطابقاً مع مفاهيمنا " ، و بالتالي يتماهى مع الدين الاسلامي الذي يقول إنّ ما نراه في هذا الوجود هو من تأثيرات الله .بينما المعرّي يعتبر أنّ له زمكاناً ، و شمس الدين يتماهى مع الصبّاح بل مع الدين الاسلامي فيعتبرُه سرّ الأسرار. لقد ثابر شمس الدين في مُزاوجة الفلسفة والتاريخ واستمرّ مُبحراً من التصوّف إلى الرمزية ، وراحت تساؤلاته التي ترفرفُ كطائرٍ حائر في فضاءٍ قد يكونُ فارغاً ، أو مليئاً بطيور الأفكار والمعجزات ! و هنا تبرز عظمة الشاعرلأنّ الاجابات قد تقطعُ رأس القصيدة . و قصائد شمس الدين كانت تستقي من ينابيع المعارف الانسانية بشكلٍ عام ممّا جعله شاعر الرمزية المقنّعة .لقد غرّد أميرال الطيور في فضاء الحقول البعيدة لابساً أقنعتَه العجيبة كي يستطيع الوصول أُسوةً برُوّادِ الفضاء ... لقد ترك محمد علي شمس الدين نِتاجاً شعرياً كبيراً توّجه قبل مماته بقليل بتاجٍ عليه خدوش الزمن و الألم و الضنى والبذل والحبّ .. وحسب إمام : يحارُ الواقف أمامه أنّه لشاعر واحدٍ ترك غابةٌ شعرية هائلة ، يُجاور فيها النصُّ الايروتيكي النّص الغزلي ، و أسئلة الميتافيزيقيا نصوص العرفان . غابةٌ متعدّدةُ الرؤى والأوجه ، آمن فيها بلا نهاية المعرفة ، و كونيّة عمل الشاعر . وعلى مستوى الشكل ، كتب النصَّ الكلاسيكي والتفعيلي والشذرة و الأبيغرام ، و ناوش قصيدة النثر ، و ترجم ترجمةً شعريةً كما

في الشيرازيات التي دخلها بنرجسيّته المعروفة رأساً برأسٍ مع صديقه حافظ الشيرازي ". إنّ ملامح الصوفية عند شمس الدين تمسُّ شغاف القلب ، وتُدغدغُ الروحَ ، والأروعُ هي تلك الميتافيزيقيا التي تجعلُ الزهرَ يعبقُ من عالمٍ آخر . و لا غرو إذا قلتُ إنّ الشعراءَ المبدعين هم أنبياءُ القصيدة ، وهم الأرهفُ حسّاً والأوسعُ مخيّلةً ، وفي حقول قصيدتهم تنبتُ سنابل العشق المرهفة . و بين فضاء الرهافة و فضاء العشق يُسافرُ أنبياءُ الكلمة التي تقدّست بماءِ الشعر . لقد جعل شمس الدين النارَ ترقصُ في آتون العالم المتأجّج المتصارع ، وجعل للماءِ لغة الحكمة مشيداً هيكلهُ الشعريّ الوهّاج المفتوح على مصراعيه لكلّ من يُريد أن يؤمّ صلاة الشعر في مصلّى الوجود .إنّ تساؤلاته تُثير فينا طاقةً إيجابيةً لا تلبسُ أن تتحوّل إلى تفاعلاتٍ كهروكيميائية سرعان ما ترتسمُ خواطرَ ملوّنة توقظنا من عراكنا الحياتي في زمن الردّة هذا . و كلما شفّ وتوغّل في أسرار الرمز والكناية كان يُتوّج قصائده بزمرّد الابداع والروعة . و يرى شمس الدين :" أنّ الشعرَ قد يتناسبُ مع فكره المخلّص من ناحيتين : ناحية ارتباطه بالغيب إذ كلّ شعرٍ مهمّا كان ماديّاً أو يوميّا له ميتافيزيقية ، و من ناحية إرتباطه بالخيال . والأرجح أنّ سقراط سخى في الخيال باعتباره يجمع بين الموجود والمعدوم في وقت واحد ، وذلك لحساب العقل و ترتيباته . و لعلّ القرآن في ذكره للهيام لدى الشعراء قد نزع نزعة مشابهة . بعد ذلك جاء من أنقذ الشعر من براثن الفكرة اليونانية عن الشعر. ففي حديثه عن السماع عن الفتوحات المكيّة يعتبر ابن عربي : " أنّ الخيال في الشاعر هو صورةُ الله فيه، لأنّ الشاعر بالخيال يوجدُ ما ليس موجوداً". أمّا أنّ الشعرَ اليوم في مأزقٍ وجودي و يجبُ إنقاذه . ففكرة فانتيزية غير دقيقة ، راجت هناك و من ثمّ هنا . و مازالت جميع الفنون من رواية و موسيقى حتّى الآن تصبو نحو الشعر . و أُضيفُ و هو أمرٌ مهمٌّ جداً ، وأنّ علوم ما بعد الحداثة تلتحم بالشعر في نظرية "الكاوس"(Chaos THEORY) والاحتمالات . وليس الشعر غريقاً حتّى يتمّ إنقاذه لأنّ من يكتبُ الشعر هم الشعراء .

" مقابلة د. شمس الدين مع محمد ناصر الدين تحت عنوان : الالتباس الثقافي أخطر من الالتباس السياسي" في 2017/09/16."سؤال : تساءل د. نورالدين الورفلي عن علاقة الشعر بالمعرفة بالعلوم بالتكنولوجيا بأبستموولوجيا المعرفة ، فرأى أنّ في الأساس اللغوي شعر عرف لكن في القاع الابداعي والأفق الشعري فإنّ الشعرَ ليس المعرفة بل قلق المعرفة ، ولذلك فإنّه رأى أنّ الشعر يبدأ من حيث تنتهي المعارف و ينتهي التاريخ ، وتساءل كيف ؟

جواب : فردّ شمس الدين قائلاً : " أقصد أنّ الشعر هو التحويل الشعري لكلّ شيء يمسّه لذلك هو الأقرب للسحر منه للعلم ، وأقرب للحلم منه لليقظة ، و لماذا نسأل و نجيب : لأنّه ابن المخيّلة الفذ و ابن ديناميكيّة الكلمات في عقلها و طيشها و لا وعيها و طبقاتها الأكثر سفليةً وغوراً و نسياناً ".

تعليق : لكن أوليس من يرصدُ تكوين الكون يرَ فيه الجمالَ والابداع والتنظيم والحكمة ؟! لقد تربّى الكائن اللامتناهي في الكبر وأعني الكون على النظام والانتظام ، وحسن التناغم والتراتب والتفاعل حتّى تبادل أحسن التعامل بين مكوّناته فكان دوران الكواكب حول شموسها الأم ، وكانت الموجات الضوئية التي تُسافرُ و تنطلقُ في الأغوار ، و كانت الجاذبية التي تُفتِنُ قلوب النجوم و تأسرُ قلوبَ البشر في حقولها المليئة بالطاقة الالكترومغناطيسية ! فوُلد الحبُّ في الكون بين مكوّناته التي هي النجوم والكواكب والمخلوقات ، وهكذا وُلد التجاذب بين البشر ولو من البعيد عبر موجاتٍ إلكترومغناطيسيّة ، أفليست الخريطةُ الجينيّة هي شيفراتٌ كيميائيّة ؟ أوليس عمل الأجهزة البيولوجيّة يرتكز على تبادلات الرسائل ذات الشيفرات الكيميائية ؟ و كذلك الانسجام بين الكائنات هو تجاذبات مغناطيسيّة تتحول إلى شيفراتٍ كيميائيّة فترتعشُ القلوب و تبزغُ شمس الحياة ..إذاً أيها الشاعر الراحل إنّ قدرة الشعر على التغيير و على خلق المستحيل أوليس ترتبط بالوعي وبخزّان الذاكرة و بالمخيّلة؟ و كلُّ هذه تُحرّكها الرموز الكهروبيولوجيّة الكيميائيّة . إذاً الشعرُ كائنٌ حيٌّ يمتدُّ سحرهُ إلى فيزيولوجيّة و قلب و إحساس ووجدان الإنسان ! الشعرهو كوكبٌ غيرمرئيٌّ يدور في عدّة أفلاك ، و هو

كالنور تفاعلُ فيزيوكيميائيٌّ – روحي لكنّه غير مرئيّ يُسافرمن مدارٍ إلى مدار ، الشعرُ يسكنُ ما بين السحر و العلم ، أو ليس للسحر مأوى في حنايا العلم ؟ و كذلك الشعرُ هو سرُّ الأسرار.

لذا نرى شمس الدين يقول : الشعرُ متأهّبٌ دائماً تُطلقه في فم مسدّسٍ و احتكاكه بالوجود لا يهدأ لأنه يعملُ في الليل والنهار ، بل لعلّه كائنٌ ليليّ لا ينام فحركةُ اللاوعي هي مُحرّك الشعر الأقوى والأعلم ، إنّه المساحات السوداء التي لا تُحدُّ من كينونة الشاعر والانسان.

كلّ اكتمال لقصيدةٍ منقوص . فالقصيدةُ دائماً هي الابتداء بالقصيدة ، وهنا الشعرُ كالدهرِ لا أوّل له و لا آخر بل لعلّه الدوران وللدوران في الرقص أهميّة خاصة ، وهو في الجسد يُماهي دوران الأفلاك والمياه والأنوار والدماء . أمّا الجمال فأهمُّ ما فيه غموضه والخوف . لأنّه يُذكّر ليس فقط بالحياة بل بالموت أيضاً ..". مقابلة أُجريت معه في **2022/05/10**. "

تعليق : و هذه الرؤية لا بل هذا التحديد لماهية الشعر ألا يجعله على مسافة واحدة ما بين العلم والسحر ؟!و لكن لماذا رأى الشاعر شمس الدين أنّ أهميّة الجمال تكمنُ في الغموض؟ هل كل ما هو رمزي يكون فاتناً ؟ هل هو إصرارٌ على صوفيّةٍ تبحثُ عن ماهية الله و تذوبُ فيه ؟ و ما علاقة الخوف بالجمال ؟ و لكن سُرعان ما أجاب لأنّه يُذكِّرُ بالحياة والموت معاً ... إذاً الخوف من الجمال لأنّه سيفنى ! و لكن كما قال في قصيدته العميان " غويا" : أشار لهم غويا بالريشة فقال : إنتظروا هل يقدرُ أعمى أن يُبصر أعمى ؟ / أويقرأُ سطراً سطّره (غويا)/. فكيف بنا نحن البشر الضررة سوف نرى ذاك الغموض في الجمال أو طائر الخوف الملوّن؟ لقد استطاع شمس الدين أن يُسخّر الريادة في استلهام فضاء شعريّ نورانيّ محصّن بلغة محكمة و ثقافة مبحرة في أعماق التاريخ والواقع ؟ وهذه القدرة لم تأتِ على طبقٍ من فضّة بل هي وليدة عراك حياتي و مخاضٍ ثقافي ووجداني أمكن له أن يغدو رافداً غزيراً في القصيدة المعاصرة .

وفي مقابلة أجراها معه أ. محمد ناصرالدين في 2017/09/16 في جريدة الأخبار سؤال : " **هل هناك محطّات معيّنة في حياة الشاعر تسمح لنا بفهمٍ أعمق لشعره ،أم يصعبُ الفصل بين الشاعر و حياته ؟**

جواب :" شمس الدين : " هي افتراضات على أيّ حال. من يُدقّق في سيرةِ أبي العلاء المعرّي مثلاً يرَ أنّ حياته بنت شعرِهِ بمقدار ما هو شعره ابن سيرته الوشيجة بين سلوك شعرٍ ما ونصوصه معقّدة جدّاً و مفاجئة . يوم انتحر أرنست همنغواي كتب غارسي ماركيز أنّ ما يعرفه عن شخصيّة همنغواي العنيفة من صيد الوحوش في الغابات والقرش في البحار ، لا يسمح للحظة بإمكانية إنتحاره . و يوم فصل البنيويون والألسنيون بين النصّ و صاحبه ، لاحظوا أن تلمّس سيرةِ النص لا تكون إلّا من خلال النصّ نفسه ، و لا شيء سواه . فالنصّ تبعاً لهم ،هنا، كائن لغوي لا أكثر . النصُّ برأيي مغامرة لغوية ووجودية في وقتٍ واحد ...

"و يقول البروفسور فراس السواح :" و لكن في قلّة الكلام تناغمٌ مع الطبيعة ، وهي لا تُعبّر عن نفسها بالكلمات " فكيف بذلك الشاعر الذي لا يملك سلاحاً غير الكلمة ؟ أي كيف يستطيع التناغم مع الطبيعة لا بل مع محيطه و هو يُقنّنُ في كلماته ؟ و هذا التقنين في الكلمة ألا يُخبىء ما في الأعماق من حكمة و عشقٍ و آهات و عذابات و فرح و ثورة و كفاح الخ...؟ الشاعر هو منظومةٌ من الأحاسيس المختزنة في الوعي واللاوعي التي يُديرها سلوك المرء ونمط حياته و تربيته ، إنّه يستعين بأعماق ذاته لكي يُحاكي العالم ، ولكن كيف لتلمّس سيرة النص لا يكون إلّا من خلال النصّ نفسه فقط ؟ فعلى سبيل المثال لا الحصر الحاصد الشعري لمحمد علي شمس الدين الذي هو من أرض الجنوب المقاوم ، هو نتيجة سيرٍ غنيّةٍ بالبذل و الألم والصبر والعشق للثقافة والأدب والشع والكلمة ، فكيف سنتلمّس نصوصه ما لم نتعرّف على سيرته العامرة وتقلبّات مزاجه وانفعالاته وغيرها من الأمور ؟

سؤال : " كم كان لك من العمر حين نشرت ديوانك الأوّل " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا" ؟ و هل كنت تعرف مسبقاً أنّك ستكون شاعراً ؟ جواب : " الديوان الأوّل صدر عن دار

الآداب في نهاية عام 1974 م و كنت أبلغ 32 عاماً . كنت أعرفُ أنّ ما أصنعه هو الشعر ، و أعرفُ أنّه خطيرٌ جدّاً ، كنت أنا الصغير والهارب دائماً من الناس بإمكانية الطيران الشاسع في اتجاهي ، و قصائد هذا الديوان إقحاماتٌ جنونيّة لكلّ ما حولي . هل "قصائد مهرّبة" حياتي تُشبهُ شعري ؟ كلّا قطعاً . كان لي صاحب أو إثنان و بنتُ جميلةٌ كالقمر قربنا ، و كثيرٌ من حيوانات الدار ، و كتبٌ تُراثيّةٌ في مكتبة الجّد ، و كنّا فقراء . لكنّي أُصبتُ بنوعٍ من الأرق استمرّ طويلاً ، وكتبتُ قبل عام 1970 المئات من النصوص التي مزّقتها لأنّي كرهتها .

"تعليق : هنا يبدو الشاعر على كرسيّ الاعتراف دون خوفٍ و دون تردّدٍ لا بل سرد بكلّ عفويةٍ نشأته التي جمّلها بحبّه للقراءة و لنمط الحياة الريفيّة ، و بوجه ابنته الجميلة كالقمر ، فما أروع بساطة الحياة في كنف بيتٍ تراثيٍّ يحضنُ البراءة والجمال ، وقد جعل الفقر وساماً على صدره .إنّه الأرق الذي جعله هارباً من الناس عبر الطيران والهيام النفسي اتجاه نفسه ، و لكن ما هو مسبّب هذا الأرق ؟ هل هو ناتج عن اضطراب التوتّر ، أو عن الطفولة القاسية التي مرّ بها ؟ فتراكم التوتّر النفسي نتيجة لحالات موتّرة قد يُولّد هذا الشعور بالقلق الحاد ، و حتّى العوامل الوراثية قد تؤدّي إلى وجود شخصية قلقة . وهل هذا القلق جعله يُطلق ما في داخله من مكنوناتٍ و أحاسيس جعلته شاعراً ؟ إنّ الحياة حياة الشاعر لن تُشبه شعره لكنّها تتقنّع و تتمكيجُ داخل قصيدته حتّى إنّ الشاعر نفسه لن يرى حتى ظلّها ، وهكذا فإنّ الفارس الشمس الديني كان يُطلقُ سراح الكلمات من سجن داخله حتّى إنّه لم يلحظ ما حلّ بأسراه من تغيّرات !

سؤال : " في شعر محمد علي شمس الدين مريم و زينب و خديجة وليلى و آسيا ، هل المعجم الأنثوي يعود لشخصيّات حقيقيّةٍ ؟

جواب :" بالطبع هنا نساء حقيقيات شعريّاً لكن شتّان بين نصّ كلّ امرأةٍ و سيرتها . سوف تجدُ على سبيل المثال أنّ اسماً واحداً هو ليلى يحملُ أحوالاً متعدّدة . ففي قصيدة " وجه

ليلى" يتبيّن من النشيد الأخير أنّ متيّماً وهو أنا ، لم يُحبّ ليلى بل شُبّه له ، و أنّ القصّة بكاملها أسطورة : " علّقتُ على باب الدنيا قلباً مطعون / و صلبتُ جناح الطيرعلى جذع الزيتون / و نقشتُ على عنقي سيفاً / و على هدبي سيفاً مسنون /و شنقتُ الشمس بأعتابي / و صفعتُ قفا القمر المفتون / لا قيسُ أحبّ و لا ليلى عرفت وجهاً للمجنون /. " و في قصيدة أخرى بعنوان " خمسةُ أبوابٍ للموسيقى" في ديوان الغيوم التي في الضواحي ، يأتي ما يلي :" / والذي حيّر العقل حتّى براهُ الجنون / أنّ ليلى التي متّ في حبّها ألف عامٍ تخون ". باختصار : أنّ نساء القصائد هنّ نساء الخيال اللواتي يأتين من الواقع أحياناً و لكن ليذهبنّ إلى الأسطورة .

تعليق : حسب البروفسور فراس السوّاح في كتابه مغامرة العقل الأولى ص. **21** يقول " فالأسطورة والحالة هذه هي التفكير في القوى البداية الفاعلة الغائية وراء هذا المظهر المبتدي للعالم و كيفية عملها و تأثيرها ، و ترابطها مع عالمنا و حياتنا إنّها أسلوب في المعرفة والكشف والتوصل للحقائق ... إنّها الاطار الأسبق والأداة الأقدم للتفكير الانساني المبدع الخلّاق الذي قادنا على طول الجادة الشاقة ، التي انتهت بالعلوم الحديثة والمنجزات الحضاريّة الغائيّة .".

و عليه : فالقرن التاسع عشر في أوروبا قد حمل معه ثورةً فنيةً و جمالية أعادت للأسطورة رونقها وبهاءها بشكلٍ فنّي تعبيري ، و ما لبث الرومانتيكيون أن اعتبروها أصلاً للفن والدين والتاريخ والحضارات منهلاً ثرّاً و ملهماً .. والأساطير لها منشأ طبيعي لذلك نرى شاعرنا السندبادي البحّار في التاريخ لم يتوان عن دعوة الأسطورة إلى مائدة قصيدته الشهيّة فحوّل نساء الواقع إلى زوّار للخيال على مركبة الأسطورة ، و لكنّ هذا الأمر لم يكن للزخرفة لا بل لمحاكاة تمرّده و خروجه عن المألوف ، و عدم الانحباس في داخله ، بل عاد إلى الأصل حيث وُلد الفنُّ والدين ورقص التاريخ بحضاراته .

السؤال البديهي الأوّل : ما هو الشعر ؟ د. شمس الدين : الشعرُ مسألةٌ بديهيّة و فلسفيّة في وقتٍ واحدٍ ، و هو مسألةٌ تاريخيّة أيضاً . و للشعر صلةٌ مؤكدّةٌ باللغة ، و بفنون كثيرة : الرواية ، الموسيقى ، الرسم ، الكيمياء ، كما أنّ شبكة علاقاته تمتدُّ من أدنى مستوى لعيش الانسان في الكهوف الأولى ، إلى ريادات العقل البشري المغامرة في المجرّات ، و في المختبرات ، و في النفوس و طيّاتها الغامضة . هكذا ربّما جاء تعريف عبد القاهر الجرجاني للشعر على أنّه " الجمعُ بين رقاب المتعارضات " . صورة بسيطة لما ينطوي عليه هذا الفن من قابلية التعدّد ، و تعريف الشعر في النقد العربي القديم والحديث لم ينفصل عن جذرٍ فلسفي و جذرٍ تاريخي ، لكنّهم عوّلوا على عنصري المُحاكاة والوزن . ما طرأ على هذين العنصرين حتّى اليوم مهمّ . فالوزن تفلّت من سيمتريته نحو الايقاع من ناحية ال Rythme ، و من ثمّ ليكون حرّاً بالمرّة حتّى في أن يكون لا وزناً ؟ كما ارتأى بودلير في طرح سؤاله : " هل يمكنُ أن نشتقّ من النثر قصيدة ؟ وانتهى إلى تلك التسمية الجديدة الملتبسة (قصيدة النثر Poéme en prose) . قد يكونث الشعرُ هو حفرُ بئرٍ في صحراء النثر الشائعة . "

تعليق : في البدايات الأولى للانسان عندما كان العقلُ صفحةً بيضاء ناصعة كالثلج لم يُنقش عليها شيء كان نوراً خابيةً في عماء الوجود ، و لم يألف الحركة خارج نطاق الغزيرة ، و بعد مخاضٍ وردود فعلٍ و تكيّف بدأت مغامرته الكبرى مع الكون . فكانت قفزته الأولى نحو المعرفة ، وكانت الأسطورة هي مولوده الأوّل و لا سيّما بعدما سقط السحر في مقبرة الوهم ، فكانت له تأمّلاته و حكمته ومنطقه فسبر أغوار المعرفة ، و كان أداة الانسان الرائعة في الأدب والشعر والفنّ والعلم من تفسير و تعليل، والشرائع والأعراف والقانون ، و كلّها كانت إنعكاساً خارجيّاً بحقائقه الداخلية . فكما أنّ الأسطورة نظام فكريٌّ متكامل حسب د. فراس السوّاح استوعب قلق الانسان و توقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه ، و الأحاجي التي يتحدّاه بها التنظيم الكوني الذي يتحرّك ضمنه . فكذلك الشعرُ كان مرافقاً و مسانداً للأسطورة لا بل كان لغتها عندما تفتّح وعيُ الانسان ، وحدّث عن الأساطير

والأشعار الموجودة في ألواح اوغاريت بلا حرج . " والأسطورة حسب السوّاح في كتابه المذكور آنفاً ص. 30 هي نصٌّ أدبيٌّ وُضع في أبهى حلّة فنّية ممكنة . و أقوى صيغة مؤثّرة في النفوس ." وهذا ما زاد في سيطرتها و تأثيرها ، وكان على الأدباء والشعراء أن ينتظروا فترةً طويلةً قبل أن ينفصلا عن الأسطورة ، وهذا ما رأيناه في معظم الأساطير السورية والسومرية والبابلية في اجمل شكلٍ شعريٍّ ممكن . و قام هوميروس بصياغة معظم أساطير عصره المتداولة شعراً في الأوديسة والالياذة . و إلى جانب الشعر والأدب خَلقت الأسطورة فنوناً أخرى كالمسرح ، كما دفعت فنوناً أخرى كالغناء و الموسيقى ." إذاً الشعر والأدب هما إبنا الأسطورة الأم ، والانسان هو الأب ! هذه هي المسألة التاريخية للشعر التي تحدّث عنها الشاعر المفكّر د. شمس الدين ، و أمّا أن تكون بديهية فلهذا تفسيرٌ آخر هو أنّ الانسان بفطرته يميل نحو الشعر بل قلْ نحو التعبير عمّا يعتريه بكلمات تُصوّر ما يُحيطه و تبدأُ من أعماقه . فالموتُ صنوُّ الحياة ووجهها الآخر، والطبيعة يجب أن تُجدّد نفسها بالموت و معاودة الانبعاث إلى حياة غضّة جديدة . فالشعرُ هو جذوة فعّاليّة تلقائيّة موجودة في صميم التفاعلات الذاتية للشاعر مع نفسه و مع محيطه بل مع الكون . و للطبيعةِ لغةٌ لا تُستعمل فيها المفردات بل تُعبّرُ بلغة الرسم للجمال و للأهوال أي للربيع والرعد والبرق والبراكين وغيرها .. لذا فإنّ الطبيعة تتناغم مع قلّة الكلام ، لكنّ الشعر يتناغم مع الكلمة يُحاكي كلّ شيء حتّى الطبيعة التي ترفض المفردات . و هناك فرضية حول جين الله وهي أنّ جيناً معيّناً (VMAT2) تُهيّء البشر تجاه التجارب الروحية أو الصوفية ، وقد افترض الفكرة دين هامر Dean Hamer مؤلف كتاب جين الله . و هي تُمكّن قياس كميّة الروحانيّة بالقياسات النفسيّة والميل إلى الروحانية والنفسية كافة . و هذه الجين قد افتُرضت على مزيجٍ من الدراسات الجينية العصبية السلوكية . وبالتالي هي جين العواطف والشعور المتماهي مع الذات العلوية . و ما أودّ قوله أنّها تُحفّزُ الانسان على الشعور بالأحاسيس المميّزة و منها الشعر والأدب والفن بكلّ أقسامه . و عليه الشعر موجود لا بل كان ينتظر

الحياة داخل الانسان ، و عندما تفتّح وعيه راح يُحرّره من هذه الأعماق لذا قال شاعرنا أنّه بديهيّ . و هنا تبرز علاقةُ الشعرِ ببقيّة الفنون واللغة . وهذا التطور للانسان العلميّ التقنيّ والحياتيّ بشكل عام جعل الشعر يتماهى مع ريادات العقل البشري المغامر في الزمكان .

أمّا مسألة تنوّع الشعر وانفلاته من أغلال الوزن و سيمتريته نحو الايقاع فهذا أمرٌ طبيعيٌّ لكنّ شمس الدين لم يلبث أن ميّز الشعرَ عن النثر لا بل توّجه حين قال : " هو حفرُبئرٍ في صحراء النثر الشاسعة " أي إنّه ساقي العطاشى للتائهين في رمال النثر ! و لكن أو ليس النثر سهولٌ خِصبة تموج فيه سنابلُ الشعر ؟! "

و يقول فراس السوّاح : لقد تهاوت الأسطورة تحت مطارق الفلسفة و تجرّع سقراط السمّ جرّاء اجترائه على آلهة اليونان ، و من بعده تابع أفلاطون و أرسطو المهمّة . و تعاونت مع الفلسفة الديانتان المسيحية والاسلامية . ثمّ أدّى تبلور المناهج العلميّة مع تطور العصور الحديثة إلى الازدراء الكامل للأسطورة و إنزالها إلى مرتبة الحكاية المسلّية لما تحتويه من عناصر غيبية تتنافى والتفكير العلمي السليم . كما ادّعى العلم في بعض مراحله القضاء على الفلسفة والدين معاً . إلّا أنّ القرن التاسع عشر في أوروبا قد جلب معه ثورةً فنّيةً و جماليّة أعادت للأسطورة رونقها و بهاءها كشكلٍ فنّيٍ تعبيريٍّ من أشكال الفلكلور والأدب الشعبي .. و ما لبث الرومانتيكيون أن مشوا خطوات أبعد في النظر من الأسطورة فاعتبروها أصلاً للفن والدين والتاريخ وصارت لهم نهلاً ثرّاً و مهمّاً " . والعلاقة بين الفلسفة والأسطورة هي علاقة متشابكة و معقّدة و غامضة لا يمكن إغفالها ، ويرى بعض الفلاسفة أنّ الأسطورة هي المقدّمة الطبيعية والأساسية لظهور التفكير الفلسفيّ أي إنّ التفكير الفلسفيّ قد انبثق عن التفكير الأسطوري . و رغم أنّ الفلسفة كانت في أوّل طلّتها شعراً و لا سيّما في خضمّ بحثها عن أصل الكون والأشياء على يد الفلاسفة الطبيعيين الأوائل على غرار طاليس و هيراقليس وغيرهما فإنّ هذه العلاقة ظلّت مثيرةً للجدل . و تقولُ الباحثة الجزائرية

د. حبيبة محمدي في كتابها : " نيتشه شهوة الحكمة وجنون الشعر " مشيرةً إلى إنّه عبر أفكار نيتشه الجدليّة ثمّة محاولةً للاجابة عن تساؤل مفاده : ما أهميّة أن يتضمّن الشعر الأفكار الفلسفيّة ، و هل من الممكن أن تُقدّم الأفكار الفلسفيّة في إطارٍ شعريٍّ ؟ مكتشفةً أنّ كلّاً من الفيلسوف والشاعر يستخدم الكلمات في محاولة إعادة تشكيل العالم و فهمه مُستعينةً بمقولة للفيلسوف الألماني هايدغر ": إنّ كلّ تفكيرٍ تأمليٍّ يكون شعراً ، و إنّ كلّ شعرٍ يكون بدوره نوعاً من التفكير " ، و تعود إلى جذور التراث الصوفي الاسلامي الذي جمع بين الفلسفة والشعر حيث صاغ ابن سينا نظريته الفلسفيّة الخاصة بالنفس البشرية شعراً . و في رحلةٍ في تاريخ الفلسفة اليونانيّة نرى أنّ الفلاسفة قد نظموا قصائد شعريّة تضمّنت أفكارهم الفلسفية بدايةً من بار ميندس (520-450 ق. م.) مروراً بهراقليطس والسوفساطائيين الذين ظهروا أواسط القرن الخامس قبل الميلاد ، كما نرى موقف أفلاطون المعادي للشعر والشعراء و رغم كونه ألّف الشعر في شبابه ، و عدّ الشعر نوعاً من المسّ الالهي الذي يُفجّر الطاقة الابداعيّة عند الانسان ، لكنّه مع ذلك عدّه مصدراً مضلّلاً للمعرفة ، وفضّل استبعاده من مدينته الفاضلة . فيما أرسطو قد عدّه محاكاة للطبيعة و هو باعث فنّ الشعر ، و مؤسّس جذوره في تاريخ الفلسفة ، أمّا هيغل حسب المؤلفة فقد عدّ الشعر حدّاً وسطاً بين الفنون التشكيلية والموسيقى . كما أنّ موضوعات الشعر والفلسفة تكاد تكون واحدة . فالفلسفة نتجت في المعرفة والوجود والقيم والشعر كذلك . لذا قد اعتبره شمس الدين أنّه مسألة فلسفيّة ، و قد عبّر عن ذلك ببلاغةٍ واضحة تطلّبت هذا التحليل التاريخي لنشأة الشعر والأسطورة ، و قد بان ذلك في أكثر قصائده و نذكرُ منها : في قصيدة ليوناردو : / هل أنت أخذت الحكمة من أفواه الحكماء بروما ؟ و ملكت مفاتيح السحر من الاغريق / و كانت نشوتهم تقطر من أطراف أصابعهم ؟ حين غمست الريشة في ماءٍ داكن / و رسمتَ امراةً بخطوطٍ كشبَاك الصيّادين / رسمت يديْها كالأسماك و عينيه كالخوف النائم في الأعماق .../ فافتحْ بالريشة ما واريتَ من السرِّ و خفّفْ شيئاً من تعبي. و في قصيدته

غويا : / أشار لهم غويا بالريشة و قال /انتظروا هل يقدرُ أعمى أن يُبصرَ أعمى ؟ أو يقرأُ سطراً سطّرهُ غويا في اللوحة / قال له : قلْ شيئاً واقرأْ ماذا يعني أعمى في الصورة يا غويا / أو أن يقود خطاه و في حفرة هذا الليل عذابٌ لا يعرفُ آخره؟ /.

و في مقالةٍ له نُشرت له في 2022/06/16 تحت عنوان : استئناف المعنى يُضيء بخفّة على علاقة الشعر بالفلسفة : نُلاحظ في شعره أنّه يُركّز على إبرازه النواحي الجمالية في المتن من خلال الايقاع أو من خلال الصورة البلاغيّة المتزيّنة بالفلسفة ، و عندها تبرز النواحي الامتاعية التذوقية التي تُناصرها البراعة التصويريّة بماء الشعر السحري ! و نُلاحظ أيضاً التوظيفات البلاغيّة الناعمة السهلة الفهم المتنوّعة موجّهاً اهتمامه بقوّة نحو تتبّع جوانب الجمال، وبثّ الاثارة و يعتمد السرد القصصي أحياناً في شعره ممّا يجعل أداءه في جانبٍ كبير ينحو منحىً تصويريّاً فنّياً ممتعاً ...

إستئناف المعنى : يقول شمس الدين :" في الشعر ما أُسمّيه " استئنافُ المعنى " . يقول أبو الطيّب المتنبّي : " فوق النجوم و فوق ما أملوا فإذا أرادوا رفعةً نزلوا " . و يقول نيتشه في " هكذا تكلّم زرادشت ": " إنّكم متشوّقون إلى الاعتلاء فتنظرون إلى ما هو فوقكم . أمّا أنا فأنظر إلى ما تحت قدمي " . يقولُ سعيد عقل : " كمثل صنّين يهوي إنْ صعدا " هنا معنى مستأنف ثلاث مرّات .. و في كلّ مرّة تؤتي ثمارها في ثلاثة مواسم ... وهي مسألةٌ تتعلّق بمعنى المعنى (على قول الجرجاني) و قدرة الشعر المفتوحة على الابتكار برغم تقارب المعاني أو ترادفها." تعليق : و في هذه المقارنة حول استئناف المعنى تبرز علاقة الشعر بالفلسفة جليّة وناصعة كابيضاض جبل صنين المكلّل بالثلج . والانتقال من النقيض إلى نقيضه يحصل في إطار الدياليكتيك و على صهوة التغيير أو على صهوة الفلسفة ...

و في أدب و مقالات شمس الدين تبدو الشروح المتنوّعة و هي شروح ترتبط بالشعر عينه أو بعددٍ من الشعراء فعلى سبيل المثال :

في مقالة له تحت عنوان ملفّان في الثقافة / المدرس و بيضون (تعديل و إضافة)، ملفّان في الثقافة انطوى عليهما باب كلمات " ورد في جريدة الأخبار عدد 2022/07/16 ": يستحقّان منّا إلتفاتة : أحدهما أعّده خليل صويلح بعنوان " فاتح المدرس/ كافكا الجبال مطلّا على فراغ الكون" و هو عن الرسام السوري فاتح المدرس (1999/1922) في وجهه الآخر (الأدبي) ، و الثاني أعدّه محمد ناصر الدين بعنوان " عباس بيضون صور لا نفارقك كأمراء البحر " بمناسبة صدور طبعة جديدة من قصيدة "صور" .عن دار النهضة (2022) / بعد طبعتها الأولى 1974. أي بعد مرور نصف قرن إلاَّ قليلاًعلى صدورها .. و كلا الملفّين يستدعي منّا كلمات بشأن فاتح المدرس (شاعراً) كان يسكبُ هذه الحساسية الشعرية في ألوانه خاصة حيث اللون هو روح اللوحة والخطُّ جسدها ، و قد عبّر بالكلمات عن ذلك فقد نُشرت له التخطيطات والقصائد . وهنا ما يقوله بشأن الألوان " أنا أضربُ اللونَ باللون أُناطح أكثر من ثورٍ هائج في وقتٍ واحد لكي لا أرى اللون يغلبني . أُنظر إلى الأخضر إنّه أوقح لون في العالم . يصرخُ مثل بيّاع الباذنجان . الأحمر أجلب له العبد الأسود قربهُ ليرضيه .. الأزرق يحردُ أحياناً فأُطيّبُ خاطره .." سأُضيف : كان ثمّة شيء ما من الأصفر ممدّد في الحقول . و أنا لا أُسمّي المدرس " كافكا الجبال " بل فان غوغ الحقول " . بالنسبة لقصيدة صور لعبّاس بيضون ثمّة فرق بين قصيدة صور و قصيدة "فقد حوّل الشاعر المدينة إلى قصيدة" تتّسم بالملحميّة و الاستعارات التاريخيّة و إنشاد عبر سرد شعري طويل و هي القصيدة الوحيدة في نتاج بيضون الشعري التي تتسم بالملحميّة والانشاد . هو المشغول بالتفاصيل واللمح والاشارات الشعريّة الخاصة فكأنّه ارتقع في صور إلى الميتافيزيك والميتاتاريخ ليعود في جميع شعره إلى التفاصيل والحال وبالذات السريّة ...

تعليق : و يتحوّل شمس الدين إلى رسّامٍ بالكلمة و ناقدٍ مدقّقٍ في تفسيراته وشروحاته أو يتقنّع و ينسّل إلى داخل نصوصِ منْ يلاحقهم في نقدهِ من شعراء و أدباء سواءً إيجاباً أم سلباً .. لقد ظنّ الكثيرون أنّ النقد الجديد كما دعا إليه إليوت أصبح متجاوزاً و تدخلُ في

هذا النقد درجة عالية من الوعي بخصوصية النتاج الأدبي ، وعبقرية كلّ عمل فرد ، و بأهمّية التقنية واللغة ، والتشكيل الكلّي لروح النص كما أوضحه إليوت في " نظرية الموروث والموهبة ". و يقول إدوارد سعيد في هذا النطاق "لكلّ نصٍّ عبقرية ... و تقوم أعمال شمس الدين على نظرة تاريخيّة إنسانيّة و فلسفيّة أحياناً ، ونظرة تحليليّة تعتمد على العقلانيّة في النقد و تسعى إلى نبذ التطرّف و إجلاء الحقيقة ، و هو يتعامل مع النقد إبتداءً من تاريخ الأدب وصولاً إلى المرحلة المعاصرة ففي مقالة له تحت عنوان : "

الشاعران (في تأسيس الحداثة) في 2022/06/19 يقول : عددٌ من أبرز شعراء الحداثة الشعرية العربية أدخلوا شاعرين من التراث في تأسيس رؤية كلّ منهم الحداثية كقناع أو دينامو مُحرّك للرؤية . هما بالأولويّة أبو الطيّب المتنبي و أبو العلاء المعرّي ، شاعران حُرّان من أكثر من ألف عام . و كان المعرّي في عنوان مختاراته من شعر المتنبي قد رسم خطأ لاعجاز المتنبي في " معجز أحمد" . في بعض رؤى الحداثيين العرب : عبد الوهّاب البيّاتي و أدونيس و كمال أبو ديب ومحمود درويش و محمد علي شمس الدين يدخل المتنبي كمحرّك رؤيوي للعالم والعصر وسائلَ كثيرة في المعنى واللغة والقلق . فإنّ البيّاتي كتب باكراً (1963) قصيدته " موت المتنبي " (لتحترق نوافذ المدينة / و لتذبل الحروف والأوزان / و لتأكل الضباع هذي الجيف اللعينة ..). و كتب أدونيس إحياءً شعريّاً لمخطوط متخيّل للمتنبي من خلال " الكتاب بأجزائه" ... و كتب كمال أبو ديب " عذابات المتنبّي " ، وكتب محمود درويش رحلة المتنبي إلى مصر في ديوان " حصار لمدائح البحر " ، وكتب محمد علي شمس الدين " ممالك عالية " .. و في هذه التجارب جدل وتداخل واستلهام مع شاعر جوهري في التجربة العربيّة والعالميّة سيرته و أشعاره .. حيث يُمكن للمعنى أن يتوالد و للصيرورة الشعريّة أن تحدث بتدوير الأزمنة و الأمكنة واللغة والذات .. فليست المسألة العلاقة بين الأصالة و الحداثة من خلال الاستعارة والقناع بل جدل المعنى و دمج التجربة الشعريّة بعصبٍ إنسانيٍّ مرنٍ و قابلٍ للاتساع " ...

تعليق : ولكنّ هذا الدمج للتجربة الشعريّة أيكون في مرونته و اتساعه على حساب انتصار الحداثة على الكلاسيك ؟ أو بالأحرى أتُبني الحداثةُ ممالكها على أمجاد الماضي مدّعيةً أنّها من روح العصر و أنّها الوريث الشرعي للأصالة ؟! وهل هذا القناع أو الدينامو المُحرّك للرؤية هما ضروريان لولادة الحداثة ؟ فهل من الضروري أن يتحوّل البيّاتي الشاعر الرقيق إلى نيرون يحرقُ نوافذ المدينة و يذبل الحروف و الأوزان حتّى جعل الضباع تأكل هذي الجيف التي وصفها باللعينة !؟ ما هذا الانتقام من الشعر الكلاسيكي ؟ و لكنّ شمس الدين في ممالك عالية تماهى مع المتنبّي و أسّس مملكته الشعريّة على بعضٍ من الأصالة ، و جعلها الدينامو المحرّك لمخيّلته فراح يحفرُ في التاريخ حتّى حصل على كنز الأصالة و نفض عنه غبار التراكمات ، وغسله بطهره فراح يلمع في قصائده ، لا بل عاد فتىً جميلاً يبدو أنّه نرجس أو محمد علي شمس الدين لكن عاد على صهوة الحداثة بحلّةٍ متواضعةٍ معترفاً بقوله " نعم أنا نرجسي " ثمّ يشرح نرجسيته المختلفة عن الفرويديّة.. أو لم يكن المتنبي نرجسيّاً ؟ أليس هو من ادعى النبوة ؟ و كذلك شمس الدين اختال بجمال قصائده بين الدراسات والأطروحات والندوات الشعريّة والنقديّة ، لا بل إنّه كان يحملُ سيف النقد الجارح أينما حضر في ساحات الاحتفالات بتوقيع الدواوين الشعريّة . لكنّ هذه الكدمات والجروح التي كان يتركها و بكلّ صراحة إنّما كانت محفّزاً للعديد من الشعراء كي يُحلّقوا في سماء القصيدة ..

يتبع في العدد السابع